الحياة الطيّبة
السنة 26
العدد 48-49
شتاء-ربيع 2022م
ملف العدد

ذاتيّات الإنسان ودورها في العلوم الإنسانيّة -دراسة مقارنة بين رؤية آية الله محمد تقي مصباح وآبراهام ماسلو-

إسماعيل نجاتي[1]؛ علي مصباح[2]

مُستَخلَص:

يمكن تتبّع اتجاهين أساسين في مجال علم الإنسان[3]، "علم معرفة الإنسان الفلسفيّ" و"علم معرفة الإنسان التجريبيّ". ويسعى هذا البحث إلى مقارنة آراء عالمَين معاصرَين في علم معرفة الإنسان يمثّلان هذين الاتجاهين، حول الذاتيّات الإنسانيّة، ومطالعة آثار أوجه الاشتراك والاختلاف لمبادئهما ومبانيهما في العلوم الإنسانيّة. انطلاقًا من ذلك، تمّ الأخذ بعين

(1) أستاذ الفلسفة في مؤسّسة الإمام الخميني التعليميّة في قم، من إيران.

(2) رئيس لجنة الفلسفة في مؤسّسة الإمام الخميني التعليميّة في قم، من إيران.

(3) فيما يتعلّق بمصطلح "علم الإنسان"، فهو الترجمة الفارسيّة لعلم الأنثروبولوجيا أو علم الإناسة؛ ويشمل هذا العلم فرع علم الإنسان التجريبيّ، ولا يشمل علم الإنسان الفلسفيّ – وفق مصطلح الأنثربولوجيا بالمعنى الغربيّ- ، ولكن يمكن الأخذ بعين الاعتبار علم الإنسان – الأنثروبولوجيا- بمعناه العام وتقسيمه إلى فروع علم الإنسان التجريبيّ، علم الإنسان الفلسفيّ (الفكريّ) وعلم الإنسان الدينيّ (النقليّ). آية الله مصباح يزدي (رحمه الله) لديه مقاربةٌ عقلانيّة وفلسفيّة في مجال علم الإنسان، ومقصوده من هذا العلم الذي يبحث فيه هو علم الإنسان الفلسفيّ. آبراهام ماسلو عالم نفسٍ أمريكيّ تعتمد مقاربته على الأنثروبولوجيا التجريبيّة (علم الإنسان التجريبيّ). كان في مقاربته بدايةً من أتباع السلوكيّين المتطرّفين والتجريبيّين. ولكن بعد تشكيل ما يُسمى بحركة "القوّة الثالثة"، وقف ضدّ المدرسة السلوكيّة (التجريبيّة المتطرّفة) ومدرسة التحليل النفسيّ، وإلى جانب القوّة الثالثة، أسّس المدرسة الإنسانيّة واقترب من الأنثروبولوجيا الفلسفيّة. وعلى كلّ حال، سوف يتم اعتماد مصطلح علم الإنسان لما لذلك من جانبٍ تأصيليّ ولشموله للأبعاد الفكريّة والفلسفيّة والدينيّة في هذا المقال. – المترجم-

الاعتبار من بين الفلاسفة المسلمين آراء آية الله محمد تقي مصباح المستندة إلى المصادر الإسلاميّة والحكمة المتعالية، ومن بين علماء النفس الإنسانيّين آراء ابراهام هارولد ماسلو المستندة إلى الفلسفة الرومانسيّة، الفلسفة الوجوديّة، والنظرة التجريبيّة. هذا البحث، في الاستنتاج، قد تنبّه إلى وجود أوجه اشتراكٍ محدودة وظاهريّة، وإلى أوجه اختلافٍ كثيرة وجذريّة بين هذين المفكّرَين حول هذه الموضوعات الأساسيّة؛ بحيث إنّ الاختلافات المذكورة تسوق إلى أن يفكّر كلٌّ منهما بنحوٍ مختلف في مرحلة وصف الظواهر الإنسانيّة، وتفسير العلاقات فيما بينها، وتحديد الموضوعات وقضايا البحث، واختيار أداة المعرفة ومصادرها، وأن يُصدرا أحكامًا متعارضة في مرحلة الحُكم وتحديد قواعد المعايير السلوكيّة عند التقويم أيضًا، مضافًا إلى ترسيم السياسات والتوصيات والمقترحات فيما يخص السلوكات والقضايا الإنسانيّة.

كلمات مفتاحيّة:

آية الله مصباح، آبراهام ماسلو، علم النفس، علم النفس الفلسفيّ، العلوم الإنسانيّة، علم الإنسان، الفطريّات، الطبيعيّات.

مقدمة:

إنّ أهمية العلوم الإنسانيّة ومكانة علم النفس بين هذه العلوم والتأثير الملحوظ للمنظورات النفسيّة على السلوك الفردي والاجتماعي في المجتمعات الإسلاميّة، يوجب بروز ضرورة نقد النظريّات العلمانيّة في علم النفس وتعزيز الرؤى الناشئة من الرؤية الكونية الإسلاميّة في هذه العلوم. ومن أجل نقد الخطاب المهيمن في العلوم الإنسانيّة وتغييره، يجب جعل المبادىء والمباني الفلسفيّة لهذه العلوم تحت مجهر البحث والتمحيص. وأحد أهمّ المباني الفلسفيّة للنظريّات النفسيّة، مبانيها الإنسانيّة. على هذا الصعيد، تعتبر موضوعات ماسلو - من المؤسّسين للمدرسة الإنسانيّة في علم النفس - والنظريّات الإنسانيّة لآية الله مصباح - من المنظّرين في فلسفة العلوم الإنسانيّة الإسلاميّة - جديرة بالاهتمام. وتسعى هذه المقالة إلى الإجابة على هذا السؤال، ما هي الاختلافات القائمة بين نظريّات هذين المنظّرَين حول ذاتيّات الإنسان (والتي يعبّر عنها آية الله مصباح بالفطريّات وماسلو يشير إليها بالطبيعيّات)، وما تأثير هذه الاختلافات بشكلٍ عام على العلوم الإنسانيّة، وعلى علم النفس بشكلٍ خاصّ. وفي سياق الإجابة على السؤال الآنف الذكر، تُثار الأسئلة التالية: ما هي جذور الميول والحاجات وطلب الكمال الفطريّ للإنسان؟ هل طلب الكمال وحاجة الإنسان أمر دائم وبلا نهاية؟ تُقسّم حاجات الإنسان إلى عدة أقسام، فما مكانة الحاجات المعنويّة والعليا؟ ما هي السِّمَة الفطريّة البارزة والخاصّة للإنسان وأيّ ميولٍ تشمل؟ ما هي حدود ومستلزمات اختيار الإنسان وحرّيّته؟

ومن أجل دراسة ذاتيّات الإنسان والإجابة على الأسئلة أعلاه، سوف نبحث أولًا في الفطريّات من وجهة نظر آية الله مصباح، ومن ثمّ آراء آبراهام ماسلو حول طبيعيّات الإنسان. وبعد أن يتمّ دراسة تلك الموارد المشتركة والمختلفة فيما بينهما، سوف نحلّل في الاستنتاج تأثير الاختلافات المشار إليها على العلم، العلوم الإنسانيّة وعلم النفس.

1. فطريّات الإنسان من وجهة نظر آية الله مصباح

1-1. جذور الميول والحاجات الفطريّة للإنسان: حبّ الذات

يعترف آية الله مصباح بوجود الروح الإنسانيّة بصفتها أصلًا موضوعًا وافتراضًا مسلّمًا به، ويجعلها معيارًا لإنسانيّة الإنسان. وبقبوله لهذا الأصل الفلسفيّ القائل بأنّه في الروح "حركةٌ جوهريّة اشتداديّة"، يعتبر ذات الروح وجوهر نفس الإنسان هو "التكامليّة"[1]. وفي دراسته للفعل الصادر عن الإنسان، يعتقد بأنّ "كلّ سلوكٍ يصدر عن الإنسان ناشئٌ من ميل وانجذابٍ موجودٍ فيه"[2] .

ومن وجهة نظره، إنّ بعض أفعال الإنسان يتمّ القيام بها مباشرةً من أجل اللّذة والمنفعة، وبعضها من أجل إعداد المقدّمات المطلوبة لأجل ذلك، وبعضها الآخر من أجل الحفاظ على المنفعة والابتعاد عن الضرر المادّيّ أو المعنويّ. وبعبارةٍ أخرى يكون الهدف من بعض الأفعال تحقيق المصلحة[3]. وبرأيه، يمكننا من خلال التدقيق أكثر في هذه المناشىء الثلاث، اعتبار اللّذة منبعًا للقسمين الآخرين؛ ذلك أنّ المنفعة والمصلحة تنخرطان في تأمين احتياجات الإنسان حتى لو كانتا بالواسطة، وهما يوجِدان "اللّذة الروحيّة أو المعنويّة" بسبب ملاءمتها مع طبع الإنسان وروحه.[4]

ويعتبر آية الله مصباح، نظرًا إلى "المفهوم العام للاتجاه والميل والدافع"، أنّ جذر جميع غرائز الإنسان هو أمرٌ روحيّ يُدعى "حبّ الذات"، أو الميل النفسيّ نحو الذات، والذي هو من مقتضى "العقل والفطرة البشريّة"،[5]

(1) اليزدي، محمد تقي مصباح: دروس في فلسفة الأخلاق (دروس فلسفه اخلاق)، طهران، اطلاعات، 1870، ج2، ص163.

(2) اليزدي، محمد تقي مصباح: مواعظ الإمام الصادق عليه السلام للباحثين الصادقين عن الطريق (پندهای امام صادق به ره جویان صادق)،قم، مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية 1387، ص 161.

(3) انظر، م.ن، ص130-133).

(4) اليزدي، محمد تقي مصباح: معارف القرآن (معارف قرآن)، قم، مؤسسة في سبيل الحق، 1367، ج1-3، ص431

(5) اليزدي، محمد تقي مصباح: سجاديات السلوك: شرح مناجات السجاد عليه السلام (سجاده های سلوک: شرح مناجات های حضرت سجاد عليه السلام)، تحقيق وتدوين كريم سبحاني، قم، مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية، 1390، ج1، ص298

وينشعب من ذلك فرعان أصليّان هما "الحفاظ على الوجود" و"تحصيل الكمالات الممكنة".[1]

وفي تصنيفٍ أكمل، يجعل آية الله مصباح حبّ الذات محورًا لثلاث ميولٍ غريزيّة للإنسان، أي "العلم، القدرة والمحبّة"، وينشعب من حبّ الذات ثلاث ميول هي "حبّ البقاء"، "طلب الكمال" (البحث عن الكمال)، و"البحث عن اللّذة". ويعتبر بعد ذلك، الميل إلى العلم والقدرة فرعين من طلب الكمال باسم "طلب الحقيقة وطلب القدرة"[2]، ويقسّم البحث عن اللّذة إلى ثلاثة أقسام، وهي عبارة عن:

1- ما يتّصل بجسم الإنسان؛ مثل غريزة التغذية والجنس

2- ما يتّصل بالعلاقة بين الروح والجسم؛ مثل حبّ الجمال وطلب الجمال المادّيّ والمعنويّ

3- ما هو الخاصّ بالروح والنفس، مثل العواطف والمشاعر والانفعالات.[3]

ويعتقد آية الله مصباح أنّ ثمّة علاقة مباشرة بين ظهور الرؤية وزيادتها بالنسبة لنفع أو ضرر عملٍ ما، وبين ظهور وزيادة الميل إلى تنفيذه أو تركه؛ لذا تؤثّر النظرة والرؤية الكونيّة الصحيحة على سلوك الإنسان وتشكّل اتجاه السلوك وشكله الصحيح، وحيث إنّ الرؤية الإسلاميّة هي نفس ذلك الفهم الصحيح للعالم، فإنّه يعتبر عناصر الرؤية الكونيّة الصحيحة قائمة على ثلاثة أصول: التوحيد، النبوة والمعاد،[4] ويشير أيضًا إلى نواقص وأوجه قصور الإنسان على مستوى الرؤية الميل والقدرة، ويعتبر أنّه بالإمكان

(1) اليزدي، محمد تقي مصباح، نحو بناء الذات (به سوى خود سازى)، تحقيق وتدوين كريم سبحاني، قم، مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية، 1387، ص402

(2) اليزدي، محمد تقي مصباح، بناء الإنسان في القرآن (انسان سازى در قرآن)، تنظيم وتدوين محمود فتحعلي، قم، مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية، 1388 الف، ص184 و186.

(3) م.ن، ص189

(4) انظر، اليزدي: مواعظ الإمام الصادق عليه السلام للباحثين الصادقين عن الطريق، م.س، ص272-277؛ انظر أيضًا: مجموعة من المؤلفين: فلسفة التربية والتعليم الإسلاميّ (فلسفه تعليم وتربيت اسلامى)، تحت اشراف محمد تقي مصباح، طهران، 1390، ص181

رفع هذه النواقص وأوجه القصور تدريجيًّا وإزالتها؛ ولكن لا يرَى أنّ الجهد والسعي الفرديّ كافٍ لرفع هذه النواقص، ويعتبر مساعدة الآخرين (المجتمع) لازمًا وضروريًّا.[1] ومن وجهة نظره قد يقوم بعض الأفراد الذين اعتادوا على الميول السلبيّة وتخلّقوا بها بإدارة ظهورهم لما يعلمونه من عواقب العمل بالطبع.

ومن وجهة آية الله مصباح، يعتبر ميلٌ ما أصيلًا إذا ما أوجب "لذةً أصيلة"، ويتمّ اكتساب اللذّة الأصيلة أيضًا من خلال تحقيق "المطلوب الأصيل للإنسان".[2] وتتحقّق مستويات اللذّة والمطلوبيّة من خلال تأمين ثلاث مجموعات من الحاجات: الحاجات المادّيّة، الحاجات والانفعالات الاجتماعيّة، والحاجة إلى رضى الله (الحاجات الإلهيّة والمعنويّة)[3].

2-1. روحانيّة طلب الإنسان للكمال ولا نهائيّته

من خلال تحليله لغريزة البحث عن الكمال، يعتبر آية الله مصباح ذلك فرعًا من محبّة "المحبوب بالأصالة" (حبّ الذات)، وتنقسم المحبّة إلى قسمين: المحبّة لـ "الكمال الموجود" والمحبّة لـ "الكمال المفقود". وتوجب العلاقة بالكمال المفقود تعلّقَ الإنسان بكمالاتٍ غير موجودة فيه بالفعل أيضًا، والسعي لاكتسابها وتحقيقها. وأحيانًا يكون الكمال المفقود هو "الكمال النهائيّ و/أو مقدّمةٌ لأجل الوصول إلى ذلك"، وأحيانًا أخرى يتلاءم مع "أحد قوى الفاعل" فقط، وربما تُختتم في الإجمال بضرر الفاعل.[4]

(1) انظر، اليزدي: معارف القرآن: م.س، ج1-3، ص432-435؛ انظر أيضًا، مواعظ الإمام الصادق عليه السلام للباحثين الصادقين عن الطريق، م.س، ص181-182.

(2) اليزدي، محمد تقي مصباح: معرفة النفس لأجل بناء الذات (خودشناسى براى خود سازى)، قم، مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية، 1387، ص42.

(3) انظر، اليزدي، محمد تقي مصباح: الأخلاق في القرآن (اخلاق در قرآن)، ج5، تحقيق وتدوين محمد حسين اسكندري، قم، مؤسّسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية، 1391، ج1، ص106-107.

(4) انظر، اليزدي: نحو بناء الذات، م.س، ج2، ص104-105؛ انظر أيضًا: مجموعة من المؤلّفين: فلسفة التربية والتعليم الإسلاميّ، م.س، ص176

ويعتبر أنّ الإنسان مركّبٌ من "روحٍ وجسد"، ولديه نظامٌ إبداعيٌّ معقّد، ويعرّف الميول الفطريّة أنّها موجبةٌ لـ "قوام الروح الإنسانيّة" والتي تشكّل حقيقة الإنسان. وباعتقاد بعض الفلاسفة الإلهيّين وغير الإلهيّين، فإنّ ميول الإنسان الفطريّة غير نهائيّة، وتعتبر هذه الرغبة التي لا حصر ولا نهاية لها من "أهمّ الاختلافات الأساسيّة بين الإنسان والحيوان"[1]؛ لأنّ الإنسان يتمتّع بقوة العقل، ويستطيع بواسطته أن ينمّي دائرة معلوماته و"مدى إرادته نحو اللانهاية"[2]. بناءً عليه، يمكن الاستفادة من بحث الإنسان عن الكمال اللانهائيّ من أجل تحديد هدفه النهائيّ، وكذلك تحديد امتداد عمليّة البحث عن الكمال، منذ زمن الولادة (بل قبل ذلك) وحتى اللانهاية.[3]

من وجهة نظره، "في كون - الإنسان -باحثًا عن الكمال المطلق" دليلٌ على "التوحيد وفطرة الإنسان الباحثة عن الله"، وقد أعطته "يد القدرة الإلهيّة" هذه الفطرة الطالبة للكمال؛ ذلك أنّ نظام خِلقة الإنسان – مثل نظام خِلقة الوجود- يستند إلى "الحكمة الإلهيّة"؛ ولذا توجد علاقة تكوينيّة بين الميول اللانهائيّة وبين "كمال الإنسان اللامتناهي" الراغبة بها تلك الميول. ومقصد هذا التكامل، الوصول إلى "الطمأنينة الأبديّة والثابتة" التي لا تتحقّق في "عالم الممكنات" والأمور المادّيّة؛[4] ولهذا السبب لن تفشل هذه الرغبات بموت الإنسان؛ بل يجب أن يكون الإنسان مالكًا لـ "الحياة الأبديّة"، ويجب أن يكون هذا الإمكان موجودًا من أجل ميول الإنسان الفطريّة اللانهائيّة، بحيث يتمّ إرضاؤها بشكلٍ تام.[5]

وفي بيان مستلزمات ونتائج عدم التناهي يعتبر آية الله مصباح أنّ الميل الفطريّ للإنسان إلى "الكمالات فوق الطبيعيّة" و"الحياة الخالدة" دليل

(1) اليزدي: معرفة النفس لأجل بناء الذات، م. س، ص45

(2) اليزدي، محمد تقي مصباح، تعليم العقائد(آموزش عقايد)، طهران، مؤسسة التبليغات الإسلاميّة، 1370، ج7، ص46.

(3) انظر، مجموعة من المؤلّفين: فلسفة التربية والتعليم الإسلاميّ، ص176.

(4) اليزدي: سجاديات السلوك، م.س، ص294-295.

(5) اليزدي: نحو بناء الذات، م. س، ص204-205).

كافٍ لإثبات ما وراء الطبيعة وإثبات الحياة الأخرويّة، و"إمكان الإرضاء التّام للميول الفطريّة"[1] والذي يُدعى بـ "برهان الفطرة". على هذا الأساس، كلّ شخصٍ يشعر في "روحه"، بالعلم الحضوري بميله إلى المحبّة والانجذاب نحو "اللانهاية"، بحيث إنّ هذا الميل يُخبر عن مطلبين: "وجود حقيقةٍ لامتناهية" جاذبة للإنسان (بما في ذلك الموجود غير المادّيّ والحياة غير المادّيّة) و"الربط بتلك الحقيقة اللامتناهية"[2].

1-3. أقسام الحاجات الإنسانيّة وأفضليّة الحاجات المعنويّة

خلافًا لنظرة كثير من علماء النفس الذين يعتبرون الحاجة هي "عامل نشاط الإنسان"، فإنّ آية الله مصباح يعتقد: "إنّ ما يمكن أن يشكّل دورًا محفّزًا وشرطًا لازمًا لنشاط الفرد، هو الشعور بالحاجة وليس الحاجة بحدّ ذاتها؛ لأنّ الحاجة في المصطلح الفلسفيّ هي أمرٌ عدميّ ونوعٌ من عدم الملكيّة واللاوجود"[3]. ويتابع باحثًا ودارسًا أقسام ما يشعر الإنسانُ عدم امتلاكه، فيقسّم ذلك إلى مجموعتين: فرديّة واجتماعيّة، وكلّ واحدةٍ منهما تنقسم بدورها إلى فرعين: "الحاجات المادّيّة" و"الحاجات المعنويّة". وترتبط الحاجات المادّيّة بـ "الجسد" وبالبُعد "الحيواني" للإنسان، وأمّا الحاجات المعنويّة فإنّها تنشأ من "الروح" وبُعدها "الإنسانيّ"، وبطبيعة الحال فإنّ المجموعة الأخيرة تتمتّع بأهميّةٍ أكبر.[4]

ويعتقد بالنسبة للحاجات الاجتماعيّة أنّ: حاجة الأفراد إلى بعضهم بعضًا تنقسم إلى فرعين: "في وجودهم وظهور ذواتهم" و"في مسار حياتهم"، وتنقسم المجموعة الأخيرة إلى مجموعتين أيضًا: "الحاجات

(1) اليزدي: معرفة النفس لأجل بناء الذات، م.س، ص48.
(2) اليزدي: نحو بناء الذات، م. س، ص203.
(3) اليزدي: الأخلاق في القرآن،م.س، ج2، ص114)
(4) انظر، اليزدي، محمد تقي مصباح: النظريّة الحقوقية في الإسلام (نظريه حقوقى اسلام)، تحقيق وتدوين محمد مهدي كريمي نيا، قم، مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية 1386، ج2، ص215 و222).

"المباشرة" (مثل حاجة الطفل إلى الأم)، والحاجات غير المباشرة، وتنقسم الحاجات الأخيرة مجدّدًا إلى "حاجات مادّيّة" و"حاجات معنويّة"[1]، بحيث يتم تأمين الحاجات المادّيّة الاجتماعيّة عن طريق الطبيعة، والحاجات المعنويّة الاجتماعيّة بمساعدة الآخرين.

ومن بين وجهات النظر المتنوّعة حول الحاجات المادّيّة والمعنويّة، فإنّه يعتبر الحاجات المعنويّة – الروحيّة والقيم السامية "أعلى" من مستوى الحاجات المادّيّة، ويعتقد أنّ هاتين المجموعتين مرتبطتان ببعضهما، ولا يمكن دراسة "الحاجات المادّيّة بشكلٍ منفصل عن الحاجات الإنسانيّة الأخرى"[2]. لذا، إذا تمّ إشباع حاجات الإنسان الجسديّة والمادّيّة، فسوف "تتفتّح حاجاته المعنويّة"، و"طالما لم يتمّ إرضاء الحاجات الجسديّة الأساسيّة"، فلن تظهر "الميول المعنويّة" و"المشاعر الإنسانيّة" غالبًا.[3] ومن ناحيةٍ أخرى، من منظار الإسلام المبين، إنّ هدف خِلقة الإنسان هو إرضاء "الحاجات المعنويّة والإنسانيّة السامية" أيضًا؛ ذلك أنّ هذه الحاجات "حاجاتٌ أصيلة وأساسية أكثر للإنسان"[4].

ومن جملة "سلسلة الحاجات المعنويّة"، الشعور الدينيّ أو بحسب تعبير بعض علماء النفس "الحاجة الدينيّة"، وهي تلك "الحاجة إلى القرب من الله" في الثقافة الإسلاميّة، وطبقًا لروايةٍ عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه إذا اهتّم الإنسان بالأمور الدنيويّة والمادّيّة بشكلٍ طبيعيّ، سوف يبقى متوجّهًا إلى الله سبحانه باستمرار، وسيتولّد لديه ميلٌ وعلاقةٌ بمناجاة الذات المقدّسة، وفي النتيجة سيتكوّن لديه الشعور بالحاجة إلى المناجاة مع الله[5].

(1) اليزدي: بناء الإنسان في القرآن، م. س، ص311-312.
(2) اليزدي، محمد تقي مصباح: محاضرة أُلقيت في مكتب البحوث الثقافية، مشهد، لم تُنشر ، 1380.
(3) .اليزدي، محمد تقي مصباح: متطلبات الإدارة الإسلاميّة (پيش نيازهاى مديريت اسلامى)، تحقيق وتدوين غلامرضا متقي فر، قم، مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية، 1385، ص98-99.
(4) اليزدي: سجاديات السلوك، م.س، ج2، ص169.
(5) م.ن، ج1، ص28.

وبالاستناد إلى المصادر الإسلاميّة، يعتبر آية الله مصباح أنّ "الهداية" أهمّ حاجة دينيّة ومعنويّة إنسانيّة، بحيث يكون قد وجد حقيقة العبوديّة واختار هدفه النهائيّ، وهو الوصول إلى القرب الإلهيّ. والهداية هنا بمعنى الهداية التكوينيّة، أي "الإيصال إلى المطلوب"، والتي هي على قسمين في المصطلح: الهداية التكوينيّة العامّة والهداية التكوينيّة الخاصّة. تشمل الهداية التكوينيّة العامّة جميع الموجودات والبشر، وهي ليست كمالًا خاصًا للإنسان[1]، في حين أنّ آيات سورة الحمد تشير إلى المعنى الخاصّ للهداية وتعتبرها خاصّة بالمؤمنين، وهذه الهداية التكوينيّة الخاصّة التي أُشير إليها في سورة الحمد هي "هدايةٌ أعلى من الهداية عن طريق العقل، الفطرة، الوحي وكلام أنبياء وأولياء الله"، وطبقًا لآيات القرآن فإنّها، "فقط بيد الله"[2].

4-1. الميزة الخاصّة بالإنسان: الميل إلى التسامي الفطريّ (الميل الأصيل)

يوضح آية الله مصباح بنظرةٍ فلسفيّة، التقسيم الثنائيّ للميول الفطريّة إلى مادّيّة وروحيّة على الشكل التالي[3]: المجموعة الأولى، هي تلك الميول المتّصلة بـ "حياة الإنسان المادّيّة"[4]، والناشئة من "عاملٍ عضويّ"[5]؛ والمجموعة الأخرى، هي تلك الميول النابعة من "إنسانيّة الإنسان وفعليّته الأخيرة"[6]. والوجه المشترك بين ميول المجموعة الأولى (مثل غريزة التغذية والغريزة الجنسيّة)، أنّها "محدودة ومؤقّتة وغير أصيلة"؛ بمعنى أنّها تنشأ أحيانًا من الحاجة الجسمانيّة ومن أجل "استمراريّة حياة الإنسان على الأرض"، وتُرفع من خلال "تأمين الحاجة وإرضائها"، ولا تُظهر "هدف

(1) انظر: الإنسان: 3؛ البلد: 10.
(2) اليزدي، محمد تقي مصباح: نحوك أنت (به سوى تو)، تدوين كريم سبحاني، قم، مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية، 1383، ص249، 264 و267.
(3) اليزدي: معارف القرآن، م. س، ج1-3، ص429
(4) اليزدي: نحو بناء الذات، م.س ص161
(5) اليزدي، محمد تقي مصباح: محاضرة، لم تُنشر، 1376/2/10.
(6) اليزدي: نحو بناء الذات، م.س ص-161 162

الإنسان وكماله النهائيّ". في حين أنّ المجموعة الثانية هي "ميولٌ أصيلة" تنشأ من "الحاجات الإنسانيّة الأصيلة والدائمة" وتشتدّ أكثر مع مرور الزمن[1]. وتنقسم هذه الميول إلى مجموعتين: "فرديّة واجتماعيّة"؛ تنبع الرغبات والميول الفرديّة عادةً من "الميول الغريزيّة"، وتُكتَسب الرغبات الاجتماعية غالبًا من سائر الميول[2].

وفي مقام الترتيب والتثمين، يقسّم آية الله مصباح ميول الإنسان إلى ثلاث مراحل: "المادّيّة والفيسيولوجيّة"، "الرغبات الروحيّة النازلة" (مثل الفرح والطمأنينة)، و"رغباتٍ روحيّة عالية". وفي هذا المجال، تتفتّح في المرحلة الثالثة (الرغبات الروحيّة العالية)، وهي ثلاث حالات من أكثر الرغبات الفطريّة أصالةً وهي عبارة عن: الميل إلى "الفضول والبحث عن الحقيقة وحبّ العلم"، "الميل إلى القوّة والقدرة على القيام بالأعمال والتصرّف في الموجودات الأخرى"، والميل إلى "العشق والمحبّة"[3].

وفيما يخصّ الميل إلى معرفة الحقيقة، فإنّه يعتبر اعتقاد الفلاسفة بأنّ "الكمال العلميّ للإنسان منحصرٌ بالإدراك الذهنيّ الشامل لعالم الوجود" اعتقادًا ناقصًا، ويرى أنّ الميل الفطريّ للإنسان فضلًا عمّا ذُكر، يطلبُ "العلم الموضوعيّ والإدراك الحضوريّ والشهوديّ لحقائق الوجود" أيضًا.[4] على هذا الأساس، يعتبر أنّ سبيل تحقّق البحث عن الحقيقة بالخروج من الغفلة، ويعتقد أنّ "الالتفات إلى النفس هو منشأ تقوية العلم الحضوريّ في الإنسان"[5].

وأمّا الميل إلى ممارسة القدرة وزيادتها في الإنسان، فإنّها غير محدودة بالأمور المادّيّة والملموسة صرفًا، بل رغبته هي "الوصول إلى مصدرٍ لا

(1) م.ن، ص161-162 و332-335؛ انظر أيضًا: اليزدي: الأخلاق في القرآن، م.س، ج2، ص30-31.
(2) انظر: اليزدي: الأخلاق في القرآن، م.س، ج1-3، ص429.
(3) اليزدي: نحو بناء الذات، م.س، ص162، 168 و170.
(4) م.ن، ص167.
(5) اليزدي، بناء الإنسان في القرآن، م.س، ص209؛ انظر أيضًا م.ن، ص: 211-213.

حصر له من القدرة" والاستفادة منه[1]. ويتوقّف تفعيل ميل طلب القدرة في الإنسان على ثلاثة شروط وهي عبارة عن: "1. معرفة قدرةٍ خارج ذاته؛ 2. معرفة عجزه وفقدان تلك القدرة؛ 3. الشعور بالحاجة إلى تلك القدرة".[2]

وفي الختام، للميل إلى المحبة أنواعٌ متنوّعة أيضًا، وهي عبارة عن: محبّة الأمّ لأولادها، المحبّة بين أفراد الأسرة، المحبّة بين أبناء جنسه، التعلّق بالأمور الموفّرة للحاجة، التعلّق بالجمال المادّيّ (بما في ذلك الجمال الموجود في الأشياء أو في بعض الأفراد) والعلاقة بالجمالات المعنويّة؛ ولأن شدّة وضعف هذه الرغبة مختلفة في الأفراد، فإنّها ذات ثلاثة مستويات بالنسبة لمختلف الموضوعات، وهي عبارة عن: ضعيف، متوسط والوَلَه[3].

5-1. الاختيار: أمرٌ دائميّ، إنسانيّ وفطريّ

بناءً على ما تقدّم، يعتقد آية الله مصباح أنّه "من أجل تحقّق أيّ عملٍ اختياريّ، يجب توفّر حاجة لثلاثة عناصر – في الإنسان-: العلم، القدرة، والميل" والتي تُظهر نفسها في قالب "أجهزة الميول والإداراكات" و"القوى النفسيّة أو الجسديّة"[4].

وقد بحث آية الله مصباح العلم والمعرفة بدقةٍ فلسفيّة، فاعتبر لذلك مستوياتٍ هي عبارة عن: "العلم غير الواعي [...]، العلم النصف واعٍ [...]، العلم الواعي"؛ ويعتقد أنّ الآيات والروايات التي تشير إلى علم الإنسان قبل ولادته مرتبطةٌ بالمجموعة الأولى (من نوعه الحضوريّ)، والتي تدلّ على الوعي بصفته شرطًا لسلوك الإنسان الاختياريّ، تشير المجموعة الثالثة أيضًا[5].

(1) اليزدي: معرفة النفس لأجل بناء الذات، م.س، ص26-37؛ انظر أيضًا: اليزدي: نحو بناء الذات، ص168-170.

(2) اليزدي، بناء الإنسان في القرآن، م.س، ص222.

(3) انظر: اليزدي: نحو بناء الذات، م.س، ص171-176؛ انظر أيضًا: اليزدي: معرفة النفس لأجل بناء الذات، م.س، ص37-39

(4) اليزدي: نحو بناء الذات، م.س ص151؛ اليزدي: معارف القرآن، م.س، ج1-3، ص337).

(5) اليزدي: علم الإنسان في القرآن (انسان شناسى در قرآن)، تحقيق وتدوين كريم سبحاني، قم، مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية ص124).

وانطلاقًا من أنّه يوجد في الإنسان "عوامل جاذبيّة داخليّة مختلفة" وأنّه ينخرط في "نشاطٍ داخليّ" من أجل ترجيح إحداها على الأخرى واختيار واحدةٍ منها؛ لذا نجد في تعريف آية الله مصباح لاختيار الإنسان أنّه يعتبر "الميل إلى القيام بالعمل" مقوّمًا لإرادته واختياره، بعبارةٍ أخرى، يقدّم "الإرادة، كتبلورٍ للميول"[1]؛ ولذلك فإنّه يعتقد بأنّ: "قوام الفعل الاختياريّ بأن يعتبر الفاعل الفعلَ ملائمًا مع ذاته"[2]، و"لا يوجد أيّ عملٍ إراديّ واختياريّ لا يكون لدى الفاعل أيّ نوعٍ من المحبّة والرضى والميل والجذب إليه".[3]

كما يعتقد أنّ "قيمة أفعال الإنسان" ترجع إلى كونها اختياريّة، وحتى طبقًا للمصطلح الدقيق (وطبعًا غير المعروف)، قوام "إراديّة" أفعال الإنسان بأن تنشأ من "العقل"، والأفعال التي تصدر وفقًا للغريزة الحيوانيّة الصرف، لا تُعتبر إرادية[4]؛ ذلك أنّ "النيّة هي روح الأفعال الاختياريّة"، بمعنى أنّ الفعل النابع من إرادة الإنسان واختياره دافعه من النفس ذاتها طبعًا. وعندما يكون الدافع من ذات النفس، سوف تكون كيفيّة العمل، كمّيّته، شكله، خصوصيّاته المكانيّة والزمانيّة والمواصفات الأخرى تابعة للدافع.[5]

ويقوّم آية الله مصباح الاختيار والإرادة بشكلٍ متساوٍ من حيث المفهوم والمعنى، ويرى أن التفاوت بينهما إنّما هو تفاوت وتغاير من حيث المصداق.[6] ويعتقد بأنّ فعل الإنسان الإراديّ يظهر من خلال تشكيل "مبادىء الإرادة في النفس"؛ على النحو التالي: ينشأ داخل الفرد نوع من "النقص" أو توقّع "اللّذة" أوّلًا، وتوصله هذه الحالة إلى مرحلة الحاجة، والشعور بالحاجة

(1) اليزدي: معارف القرآن، م.س، ج1-3، ص380 و421)
(2) اليزدي: معرفة النفس لأجل بناء الذات، م.س؛ انظر أيضًا، اليزدي: تعليم العقائد(آموزش عقايد)، طهران، مؤسسة التبليغات الإسلاميّة، 1370، ج7، ص173-175.
(3) اليزدي: معرفة النفس لأجل بناء الذات، م.س، ص103.
(4) اليزدي: معارف القرآن، م.س، ج 1-3، ص1378.
(5) اليزدي، دروس في فلسفة الأخلاق، م.س، ص167.
(6) انظر، اليزدي: معارف القرآن، م.س ج1-3، ص376-378.

يحثّه على الحركة والسعي من أجل رفع "المعاناة" و"النقص" وتأمين "اللّذة" و"الكمال". كلٌ من مجموعتي الحاجة تلك، قد تكون "جسديّة" أو "روحانيّة"، ويستتبع ذلك جهدًا وسعيًا "خارجيًّا" أو "داخليًّا". [1]

ولتحديد دائرة اختيار الإنسان بشكلٍ دقيق، يعتقد أنّ للاختيار درجاتٍ بما يتناسب مع التبعيّة للعوامل والظروف الخارجيّة والداخليّة؛ لذا يملك الله سبحانه وتعالى أعلى درجة الاختيار؛ بعد ذلك تأتي "المجرّدات التّامة" من حيث امتلاكها للاختيار، وفي النهاية تحتلّ "النفوس المتعلّقة بالمادّة مثل الإنسان" أدنى درجات الاختيار والإرادة؛ وذلك بسبب تأثير الظروف الداخليّة والخارجيّة. وبسبب التبعيّة الأقلّ للظروف غير الاختياريّة، فإنّ اختيار الإنسان في "إيجاد الصور الذهنيّة" أكثر منه بكثير مما هو عليه في "الأعمال البدنيّة"[2]. والحدّ الأدنى من الظروف المذكورة ضروريٌّ لأيّ عملٍ اختياريّ، وعلى سبيل المثال الشخص الذي يكون في حال الاضطرار (ضغط الظروف والحاجات الداخليّة) و/أو الذي يكون في حال الإكراه (الضغط والتهديد الخارجيّ)، يكون العلم والميل موجودين فيه بحدّهما الأدنى؛ لأنّه ليس أمام هذين الشخصين سوى خيارين، وسوف يختاران الخيار الأكثر ملاءمةً.[3]

وقد أُثيرت في هذا الموضوع شبهات مثل: الجبر الفلسفيّ، الجبر الطبيعيّ، الجبر التاريخيّ والجبر الاجتماعيّ والتي تنكر جميعها اختيار الإنسان، وتقدّم سلوك الإنسان على أنّه نتاج عواملٍ خارج اختياره. وقد أجاب آية الله مصباح على هذه الشبهات ودحضها على التوالي:

إنّ اختيار الإنسان هو الجزء الأخير من العلّة التّامة، وإنّ وجوب وضرورة ظهور سلوكه - وبالتعبير الدينيّ لذلك، جَعلِه ضمن القضاء الإلهيّ - منوطٌ

(1) اليزدي: نحو بناء الذات، م. س، ص 410-411.
(2) اليزدي: معرفة النفس لأجل بناء الذات، م.س، ص97-98.
(3) انظر: م.ن، ص96.

بقيد امتلاكه للاختيار.[1] وتؤثّر الغرائز، الوراثة والأنشطة الأكتروكيميائيّة للدماغ على سلوك الإنسان أيضًا، وربما تصعّب الظروف هذه الأمور؛ ولكنّ هذه الأمور هي الحدّ الأقصى لـ "جزء العلّة" من السلوك وتحتاج إلى إجراء اختيار الإنسان.

وكذلك العصور والمراحل التاريخيّة ليست أمرًا واقعيًّا، بل هي مسارات انتزاعيّة وغير قابلة للتكرار[2]؛ وفي نهاية المطاف، إنّ وجود المجتمع وقوانينه المستقلّة محلّ بحثٍ ونقاش، وليس لذلك وجود حقيقيّ، ولا يضرّ باختيار الأفراد[3].

يعتقد آية الله مصباح، مستلهِمًا من الآيات والروايات، أنّ الله تعالى هو الخالق والمالك الحقيقيّ فقط لتمام الموجودات الأخرى، ويعتبر الإنسان بجميع ممتلكاته المادّيّة والمعنويّة مملوكًا، بل عبدًا لله بالمعنى الواقعيّ. ويرفض الرؤى المستندة إلى محوريّة الإنسان، فتوجب هذه النظرة تماشي الفعل الاختياريّ الناشىء عن "علم" الإنسان و"قدرته" بالنسبة له -مصباح- مع مفهومٍ حقيقيّ (وليس اعتباريّ) للمسؤوليّة، وهو مفهوم قائمٌ على "الرؤية التوحيديّة"، ولا تصدق سوى أمام الله.[4]

ومن ناحيةٍ أخرى، يعتبر آية الله مصباح أنّ أحد آثار ولوازم قوّة الاختيار في الإنسان شرفه وكرامته التكوينيّة مقارنةً مع الموجودات الأخرى في نظام الخِلقة، وهذا الأمر لا يوجب غروره، بل يقدّر التمهيد لأرضيّة تكامله؛ ذلك أنّه يُفهم من الآيات والروايات أنّ البشر يمكنهم صرفًا من

(1) انظر: اليزدي: معرفة النفس لأجل بناء الذات، م.س، ص441-448.
(2) اليزدي: معارف القرآن،م.س، ج1-3، ص390-391)
(3) انظر، سجاديات السلوك، م.س، ص 173-174، انظر أيضًا: اليزدي: الأحلاق في القرآن، ج1، ص25-28؛ وتعليم العقائد، م.س، ص175-177؛ ومعارف القرآن، م. س، 1367، ج1-3، ص387-393.
(4) اليزدي: معارف القرآن، م. س، ج1-3، ص414؛ ودروس في فلسفة الأخلاق، م.س، ص182؛ انظر أيضًا الحشر: 18-19؛ ودروس في فلسفة الأخلاق، م.س، ص188؛ انظر أيضًا: المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، 1403ق، ج72، ص401-402؛ انظر: مجموعة من المؤلّفين، سجاديات السلوك، م.س، ص187.

خلال الإيمان والعمل الصالح (التقوى) أن يستفيدوا من الظروف المُوفّرة والتمتّع بالكرامة الاكتسابيّة[1].

2. طبيعيّات الإنسان في نظريّة آبراهام ماسلو

من وجهة نظر ماسلو كثيرةٌ هي الخصائص الطبيعيّة للإنسان، و"كلّ واحدةٍ منها تُعتبر شرطًا لازمًا من أجل تحديد إنسانيّة الإنسان"[2]؛ ولكن أكثرها، بشكلٍ محدد ومنفصل، لا يكفي في إنسانيّة الإنسان وانفصاله عن الحيوان، وهي على درجاتٍ مختلفة لدى الأفراد. وفيما يلي سوف نصف خصائص الطبيعة الإنسانيّة على أساس آثار ماسلو.

2-1. جذور البحث عن الكمال للبشر: العضويّة والميل المادّيّ للإنسان

يعتقد آبراهام ماسلو بأنّ "الإنسان بُنيَ بنحوٍ -يُساق- إلى الكمال والأكمل"، و"الكمال الإنسانيّ والصحّة"، ويوجد في الطبيعة الداخليّة للإنسان "جاذبيّة نحو التفتّح الكامل والأكمل لإنسانيّتهم؛ "جاذبيّة علميّة وذات اتجاهٍ طبيعيّ"، مثل الميل الطبيعيّ لثمرة البلوط نحو "أن تصبح شجرة بلوطٍ"[3]. وفيما يخص مبدأ هذا النمو، فإنّه يرى أنّ المجتمع لا "يخلق أو يُبدع" في الإنسان "النمو والإنسانيّة"؛ بل إنّ منشأ ذلك ومركزه الأصليّ يكمن في "داخل الفرد" والمجتمع يؤدّي دور المعزّز أو "المانع".[4]

وفي إجابته على سؤال الفلاسفة حول دليل أفضليّة "السعادة"، "الراحة" و"السكينة" يقول ماسلو، إنّ مشاهدة مختلف الأفراد في وضعيّاتٍ مختلفة توجب الكشف عن أنّ البشر "أنفسهم وليس المُشاهِد، بشكلٍ عفويّ

(1) انظر: الحجر: 29 و30؛ الإسراء: 70؛ الأعراف: 179؛ النجم: 8-9؛ انظر أيضًا، بحار الأنوار، م.س، ج18، ص382؛ وانظر: سجاديات السلوك، م.س، 1390، ص190)

(2) Maslow ,Abraham H Toward a Psychology of Being, New York, Van Nostrand Reinhold Company Inc, .، 1968, p: 170.

(3) م.ن، ص155 و160 و192 و193.

(4) م.ن، ص211.

ومحفّزين ذاتيًّا" وفي ظروفٍ مساوية، يختارون "الصحّة" والفروع الآنفة الذكر، ولا يختارون "المرض". وهذا الاختيار هو بسبب "وجود ميلٍ إيجابيٍّ داخل العضويّة، بحيث يسوقها نحو نموٍّ أكمل"[1]، ويستند في هذا المجال إلى رأيٍ لسقراط: "لا يوجد إنسانٌ يرجّح الباطل على الحقّ، والسيّئ على الجيّد بشكلٍ إراديّ".[2]

وفي نقده للنظريّات المختلفة حول جذور بحث الإنسان عن الكمال، يعتقد ماسلو بأنّه يمكن النظر من الأعلى إلى الأسفل ودراسة التاريخ من المنظار الداروينيّ، و"الصراع نحو الكمال الإنسانيّ" أو بمنزلة "إظهار نوعٍ من الفكر الفطريّ، بنظرةٍ هيغليّة"، أو بنظرةٍ من الأسفل إلى الأعلى والبحث عن "المُثُل الأوّليّة أو الأساسيّة أو الغائيّة" في "الظروف المادّيّة". وبناءً على هذه المواقف يجب اعتبار "النفع الشخصيّ أساسًا لتمام الطبيعة البشريّة"[3]. وهو يعتبر أنّ الوصف على أساس النظرة الآنفة الذكر إلى الطبيعة البشريّة ليس وصفًا يعكس جميع الدوافع البشريّة. ومن وجهة نظر ماسلو، إنّ آثار ونتائج نموّ الإنسان وكماله ينطبق أكثر على "النمط الداروينيّ في البقاء والنماء أو النمط الكروباتكينيّ للبقاء والنماء"[4]؛ ومن هنا فإنّه يقول:

"يجب أن أصرّح أنّنا قد وصلنا إلى مرحلةٍ في تاريخ علم الأحياء بحيث ندرك أنّنا الآن مسؤولون عن تطوّرنا، لقد أصبحنا نطوّر أنفسنا ذاتيًّا. التطور يعني الاختيار ، وبالتالي الانتقاء وأخذ القرار ، وهذا يعني التقدير [التقويم]"[5].

(1) Maslow ,Abraham H., Motivation and Personality, Harper & Row Publishers, 1954, p68/ 272.

(2) Maslow ,Abraham H., The Farther Reaches of Human Nature, New York, Viking Pres, p.

(3) Ibid, p: 316

(4) ماسلو، آبراهام اتش: الأديان، القيم وتجارب الذروة (مذاهب، ارزش ها وتجربه هاى بالا)، ترجمة علي أكبر شاملو، طهران، آگه، 1386، ص 116.

(5) Maslow, The Farther Reaches of Human Nature, p: 10.

وبناءً على أنّ الطبيعة البشرية هي أساس بحث الإنسان عن الكمال، فإنّ ماسلو ينظّم أسئلةَ هذا المجال حول محور تلك الطبيعة، ويعتقد أنّ: "الطبيعة البشريّة تحمل الإجابة على هذه الأسئلة في داخلها، بأنّه كيف يمكنني أن أكون فردًا كفوءًا؟ كيف يمكنني أن أكون سعيدًا؟[1]

2-2. مادّيّة حاجة الإنسان ودوامها

يقول آبراهام ماسلو، تبعًا لـبرغسون وأرسطو، إنّ الإنسان "يطلب دائمًا شيئًا ما طوال عمره تقريبًا"[2]، و"بالنسبة لي، يبدو ذلك كمسارٍ لا نهاية له بحيث يدوم إلى الأبد" وهذا أحد خصائص وجوده الدائمة[3]. ويعتقد أنّ الإنسان "حيوانٌ محتاجٌ"، بحيث إنّه نادرًا ما يصل إلى حالة الإرضاء الكامل، وإن وصل فلمدّةٍ قليلة، و"كلّما استوفيت [منه] حاجةٌ، ظهرت حاجةٌ أخرى وحلّت مكانها"[4]، وهذه العمليّة دائمة وأبديّة[5].

والميزة الفريدة للعضويّة البشريّة أثناء هيمنة حاجةٍ (مثل الجوع) عليها هي أنّها تعرّض تمام الفلسفة ذات الصلة بمستقبلها للتغيير، بما في ذلك "المدينة الفاضلة"، "الحرّيّة، العشق، الشعور الاجتماعيّ، الاحترام والفلسفة"[6]، وتتصوّر – هذه العضويّة- هذه الحالات بلا قيمة وتتجسّد المدينة الفاضلة (اليوتوبيا) الآنفة الذكر مكانًا من أجل الاستجابة لتلك الحاجة (المليء بالطعام)؛ ولكن ما يجب الالتفات إليه من حيث المبدأ هو أنّ الإنسان لا يشبع من المواهب المؤقّتة، ويسعى دائمًا إلى "الخلود والوجود المطلق"[7].

ويعتقد كلٌّ من ماسلو، إريك فروم ومارتن بوبر، لناحية هذين الجانبين،

(1) Maslow, Motivation and Personality, p 10.
(2) Maslow, Motivation and Personality,p 102
(3) Maslow, The Farther Reaches of Human Nature, p: 232.
(4) Maslow, Motivation and Personality, p 24
(5) Maslow, The Farther Reaches of Human Nature, p: 232.
(6) Maslow, Motivation and Personality, p 37
(7) Maslow, The Farther Reaches of Human Nature, p: 328

بإمكانيّة سمة "الاكتمال والخلوّ من الحاجة" في الإنسان[1]؛ ولكن بسبب حصر حياة البشر في الحياة المادّيّة وقبول أصل التطوّر لداروين حول الإنسان، فإنّهم يعتقدون بأنّ سياق إرضاء حاجات الإنسان المادّيّة ورغباته ستكون طبيعيّة وشبه غريزية أيضًا[2].

2-3. أقسام الحاجات البشرية ومكانة الحاجات العليا

يقسّم آبراهام ماسلو حاجات الإنسان إلى مجموعتين: "الحاجات الأوّليّة" و"الحاجات الأعلى"[3]؛ والمجموعة الأخيرة، لا تنمو "إلّا على أساس" الحاجات الأوّليّة والدنيا[4]. ويعتبر الحاجات الأوّليّة تلك الحاجات الأساسيّة، وقد اقتبس وجود الحاجات الأساسيّة في الإنسان من فرويد[5]، ويرى أنّ هذه الحاجات "الأساسيّة أو البيولوجيّة" تنقسم إلى قسمين: "الحاجات الفيسيولوجيّة" و"النفسيّة"، ويساوي بين مستوى أهمّيّة هذه الحاجات والحاجة إلى الكلسيوم والصوديوم[6]. ويذكر الحاجات الأساسيّة في آثاره باسم "حاجات النقص"[7]، وكذلك "القيم الأساسيّة" ويعتبرها بمنزلة "أهدافٍ" يمكن دراستها[8]. ومن أجل تمييز الحاجات الأساسيّة عن الحاجات غير الأساسيّة، يعتقد ماسلو أنّه لا يمكن معالجة الأمر من خلال"استبطان الحاجات الواعية فقط"، أو "تعريف الحاجات اللاواعية"؛ لأنّه بهذه الطريقة لا يمكن التفريق بين الحاجات العصابيّة والحاجات الذاتيّة. ولا شكّ أنه من وجهة نظره، ربما من خلال معرفةٍ و"رؤيةٍ" خاصّة

(1) يالوم، 1390، ص520.

(2) (الرجوع الى: ماسلو، 1953، ص273-274 و276-277).

ماسلو، آبراهام اتش: الأديان، القيم وتجارب الذروة، ص120 (3)

(4) Maslow: Motivation and Personality, p 103

(5) Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 20 – 32 – 38.

(6) Maslow: Toward a Psychology of Being, New York, Van Nostrand Reinhold Company Inc, 1968,

(7) Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 312.

(8) Maslow: Motivation and Personality, p 154.

في "لحظةٍ خاصة" أو "في نهاية العمر عن طريق النظر إلى الوراء" يمكن الحصول على هذا التمايز.[1]

وقد ذكر ماسلو الحاجات الأعلى باسم "الحاجات الفوقيّة أو العليا"، وحول العلاقة بين الحاجات الأساسية (الأوّليّة) والحاجات العليا، يعتقد بأنّ: "التسلسل الهرميّ للحاجات الأساسيّة غالب على الحاجات الفوقيّة، وهي "أرجح" وأكثر إلحاحًا وإبرامًا"[2]؛ ولذلك فإنّ حاجات الإنسان العليا وخلافًا لحالاته النازلة والحيوانيّة، هي "ضعيفة ورخوة لجهة كونها صريحة وغير قابلة للشكّ"[3]، ولها أيضًا مميزات خاصة والتي تثار في "دوافع النمو"[4]؛ ولكن "بالضبط بنفس مقدار ما كانت طبيعته الأدنى شبه غريزية"، فإنّها "جزءٌ من جهازه البيولوجيّ"[5]. وهو يعتقد أنّه إذا قبلنا بوجود علاقةٍ متبادلة بين اضطراب القيم الداخليّة، مرضها، تضررها أو نقصانها، وبين نقص الكمال الإنسانيّ، يمكننا جعل هذه "القيم الداخليّة أو النهائيّة" في عِداد "التسلسل الهرميّ للحاجات الأساسيّة"، واعتبارها من "الحاجات شبه الغريزيّة"[6].

وباعتقاد ماسلو فإنّه يمكن الأخذ بعين الاعتبار "درجاتٍ ملموسة" لـ "الدوافع والحاجات الأساسيّة للإنسان"، وجعل هذا "الترتيب للحاجات الأساسيّة" مبدأً أساسًا في تنظيم حياة الإنسان ودوافعه[7]. وعن علاقة حاجات الإنسان الأساسية ببعضها، يرى أنّها "تنتظم في نوعٍ من التسلسل الهرميّ من حيث القدرة والهيمنة"، وتتمتّع بـ "تسلسل هرميّ محدّدٍ تقريبًا على أساس مبدأ القدرة النسبيّة"، وكذلك بـ " أولويّة أو قدرة الهيمنة من

(1) Ibid, p 274.
(2) Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 312.
(3) Maslow: Motivation and Personality, p 276
(4) Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 312.
(5) Ibid, p 166, 228
(6) Ibid, p 309.
(7) Maslow: Motivation and Personality, p 59, 80.

الأقلّ إلى الأكثر"[1]؛ بمعنى أنّ الحاجات بالترتيب من القويّ إلى الضعيف عبارة عن: الحاجات الفيسيولوجيّة، الحاجة إلى الأمن، الحاجة إلى المحبّة، الحاجة إلى الاحترام والحاجات الفرديّة الخاصّة (مثل الحاجة إلى تحقيق الذات)[2]؛ على هذا الأساس، "من دون أدنى شكّ إنّ قدرة هيمنة الحاجات الفيسيولوجيّة هي أكثر من جميع الحاجات"[3]. في المقابل، من بين "الحاجات الفوقيّة"، يعتقد أنّه لا يوجد تسلسل هرميّ بالمعنى المفهوميّ؛ ولكن يمكن أن يتوفر ذلك مصداقًا، وذلك من خلال الأخذ بعين الاعتبار "القابليّات الفرديّة الخاصّة والاختلافات الطبعيّة"، تعيين تسلسلٍ هرميّ أيضًا للحاجات الفوقيّة. وهذا التسلسل الهرمي غالبًا هو موجودٌ في البشر طبعًا[4].

وبرأي ماسلو، يوجد شواهد تدل على قلّة عدد الحاجات الأساسيّة للإنسان؛ وهذه الحاجات عبارة عن: "الحاجة إلى الشعور بالأمن والأمان"، الحاجة إلى "الشعور بالانتماء"، (مثل الانتماء إلى "الأسـرة، القبيلة، الجماعة")، الحاجة إلى "المحبّة"، والحاجة إلى "التقدير والاحترام"[5]. وبعد إشباع الحاجة "الفيسيولوجيّة والأمن"، تظهر الحاجات الأخرى مثل: "الحاجة إلى العشق، المحبّة والانتماء" وبعد إشباع هذه الحاجات، تظهر الحاجة إلى تحقيق الذات[6].

2-4. إشباع حاجات الإنسان باتجاه الميل نحو النمو الطبيعيّ (تحقيق الذات)

يرى ماسلو أنّ للميل نحو تحقيق الذات منشأً طبيعيًّا، وهو من الخصائص المحدّدة لذاتيّة الإنسان التي تسوقه إلى كينونته الأكمل[7]، ويقول إنّ علماء

(1) Ibid, p 309.
(2) Ibid, p 97, 98.
(3) Ibid, p 36.
(4) Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 313.
(5) Ibid, p 218.
(6) Maslow: Motivation and Personality, p 43, 46, 47.
(7) Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 337.

النفس من أمثال غولدشتاين، بوهلر، يونغ، هروناي، فروم وراجرز أيضًا يقبلون بوجود هذا الميل. وبالنسبة لتمايز هذا الميل الإيجابيّ وبروزه، يرى ماسلو أنّه يوجد داخل الإنسان مجموعتين من القوى: الميل إلى النمو، والميل إلى الأمن: المجموعة الأولى تدعو نحو "الأمام، كمال الذات، وحدة الذات، الأداء الكامل لجميع القدرات، الثقة بعالم الخارج، القبول الأعمق بالذات الواقعيّة واللاوعية"؛ والمجموعة الثانية تسوق أيضًا نحو "الخلف والماضي" واستخدام "الفرص"، والخوف من المخاطرة بالممتلكات ومن "الحرية والاستقلال"[1].

ونظرًا إلى ما تقدّم، يوصي علماء النفس بأنّه: "من الضروريّ من الناحية النظريّة أن نفترض ميلًا إلى النمو الإيجابيّ أو تحقيق الذات في داخل العضويّة"، وقبول "الميل إلى النموّ أو تحقيق الذات" الذي اعتبره "الكثير من المفكّرين المختلفين من أمثال أرسطو وبرغسون والكثير من الفلاسفة الآخرين بطرقٍ مختلفة، أمرًا بديهيًّا"، وأن نربّي العضويّة عن طريق "ميول النموّ الباطنيّة بالمفهوم البرغسونيّ"، وأن نرفض التربية بـ"التعبير السلوكيّ للجبريّة البيئيّة"[2].

في الواقع ثمة ميلٌ موجودٌ في الإنسان، وهو يسوقه نحو "الاقتراب من هويّةٍ مكتملة، فريدة، ذات أسلوبٍ خاص بها(الواقعيّة)، والتبدّل أكثر إلى شخصٍ واقعيّ"، ويصل هذا الميل في تجارب الإنسان العليا إلى الفعليّة[3]، وعلى هذا الأساس، يكره أكثر البشر "التصنيف أو العنونة"، ويعتبرون ذلك نوعًا من "إنكار الفرديّة".

ويعتقد بعض الباحثين في علم النفس الإنسانيّ، أنّ "أحد المبادىء الأكثر أساسية لماسلو، هو دافعية الإنسان الأساسية إمّا نحو النقص أو

(1) Maslow: Toward a Psychology of Being, p 46.

(2) Ibid, p 68, 78.

(3) ماسلو، آبراهام اتش: الأديان، القيم وتجارب الذروة، ص82.

نحو النمو"؛ و"العصابية"، هي نقصٌ ناشىء من الخلل في تحقق حاجاته في بداية حياته، وخاصةً حاجاتٍ مثل الأمن، الانتماء، التماثل، المحبة، الاحترام والسمعة الحسنة وفي المقابل، النمو ناشىءٌ من حالاتٍ مثل إشباع الحاجات العليا، الاستقلال عن البيئة والاستفادة من العوامل الداخلية في تحديد القدرات الفطريّة الكامنة – بالقوة -[1] وكما أنّ البقاء على قيد الحياة أمرٌ جيد للإنسان، كذلك النمو في اتجاه "الكمال الإنسانيّ، تحقيق قدراته وإمكاناته الكامنة – بالقوة- ، السعادة، الطمأنينة وخبرات القمة، في سبيل التسامي وفي سبيل معرفةٍ أكثر غنًى للواقع وأكثر دقة وغير ذلك" هو أمرٌ جيد أيضًا.[2]

ويعتقد ماسلو أنّنا في التحليل العميق نصل "دائمًا وفي نهاية المطاف إلى أهدافٍ وحاجاتٍ محددة"؛ يعني "أننا نصل إلى إشباع حاجاتٍ محددة" والتي لا تُشاهد "بشكلٍ مباشر غالبًا"، حتى "في الضمير الواعي" أيضًا و"هي كامنة خلف مجموعةٍ من الميول" و"تبدو هدفًا في حدّ ذاتها". ويقول ماسلو أنّ آلبورت أيضًا يصرّح بهذا المطلب: "يمكن أن يكون طلب هذا الإشباعات والرغبة بها لأجل ذاتها"[3].

ويشير ماسلو إلى وجود علاقةٍ بين الإشباع والكمال الإنسانيّ صراحةً على الشكل التالي: "إنّ نظرية إشباع الحاجة [...] تعتبر من وجهة نظري من أهم مبادىء البنى التحتيّة للنمو الإنسانيّ الصحيح"[4]؛ لانّه إذا لم يتمّ تلبية جميع الحاجات، وإحداها الحاجة الفيسيولوجيّة (مثل الجوع)، "قد تفقد جميع الحاجات الأخرى وجودها بكلّ بساطة أو تنكص إلى الخلف"، وتغلب الحاجة الفيسيولوجيّة على العضويّة.[5]

(1) يالوم، 1390، ص514.

(2) Maslow: Motivation and Personality,p 104.

(3) Ibid,p 22, 54.

(4) Maslow: Toward a Psychology of Being, p 55.

(5) Ibid, p 60.

وتوجب هذه الطريقة من وجهة نظره حذف الدوافع العليا، كذلك النظرة الأُحاديّة تجاه القابليّات والمواهب والطبيعة الإنسانيّة، فيما يؤدّي عكس هذا السبيل إلى تلبية الحاجات الفيسيولوجيّة والسفلى، وظهور الحاجات الأخرى من النوع الأعلى وهيمنتها على العضويّة البشريّة، وكذلك يعتقد ماسلو أنّ "درجة إشباع الحاجة الأساسيّة، بشكلٍ إيجابيّ مرتبطٌ بدرجة الصحّة النفسيّة"[1]؛ فهو يعتبر إشباع الحاجة مبدأً كلّيًّا واحدًا يربط أكثر الدوافع الإنسانيّة ببعضها[2].

على هذا الأساس فإنّ "الجاذبيّة نحو الكمال، الحقيقة والعدالة"، "الاندفاع نحو اليوتوبيا – المدينة الفاضلة"، و"الميل نحو الإصلاح وتصحيح الأخطاء" هي من جملة الحالات التي تظهر بعد إشباع الحاجات الأساسيّة. ومن ناحيةٍ أخرى، فإنّ الاضطراب والخلل في الإشباع، مساوٍ لـ "فقدان المعنى والكمال" في الحياة الإنسانيّة[3]. بمقدار ما يحصل البشر على الإشباع، الموهبة والحظ السعيد، سوف "يكونون سعداء بشكلٍ مطلق لمدّةٍ قصيرة"، وبعد أن يصبح ذلك أمرًا عاديًّا سوف يسعون إلى لذّةٍ "أعلى" و"أكمل"، وسوف يدوم هذا المسار "الى الأبد في المستقبل"[4]؛ ولذلك فإنّ مبدأ "نظريّة إشباع الحاجة" ليس إلّا "ميلًا نحو ظهور حاجةٍ جديدة وأعلى على أثر إشباعٍ كافٍ لحاجةٍ أدنى"[5].

وفضلًا عن الحاجات الفيسيولوجيّة، يذكر ماسلو التسلسل الهرميّ على الشكل التالي: حاجات السلامة – الانفعالية (مثل الحاجة إلى المحبّة)، الحاجة إلى الاحترام وتقدير الذات، الحاجة إلى "تحقيق الذات" أو "الحاجة النهائيّة"، وحاجات وميول مثل "الأمن، الثبات، الانتماء، الحماية، التحرر

(1) Maslow: Motivation and Personality, p 67.
(2) Maslow: Toward a Psychology of Being, p 55.
(3) Maslow: Motivation and Personality, p 71, 285.
(4) Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 232.
(5) Maslow: Toward a Psychology of Being, p 55.

من الخوف والتوتر والفوضى واختلاط الأمور، الحاجة إلى النظام، القانون، والاعتماد على مصدر مشبع للحاجات"[1]، والميل إلى العلم والفهم (الحاجة إلى المعرفة والفلسفة)، والحاجات الجماليّة، الحاجة إلى العمل الهادف ذي المعنى، المسؤوليّة، الإبداع، الاتصاف بالإنصاف والعدالة، القيام بعملٍ يستحقّ القيام به، وترجيح القيام به بنحوٍ أحسن، كلّ ذلك يندرج ضمن المجموعات الرباعيّة الآنفة الذكر على التوالي[2].

ويعدّ عالم النفس الإنسانيّ ماسلو في أثَرٍ آخر أن التديّن أحد أنواع الحاجات العليا، وذلك تحت عنوان "الحاجات الدينيّة"، ويقدّم علامة ذلك تلك الأسئلة والمشاعر الدينيّة، ويصل إلى نتيجةٍ مفادها أنّ "هذه الحاجات ذات جذورٍ عميقة في طبيعة الإنسان"[3] وتحتاج إلى دراسةٍ أكثر. ويصرّح في موضع آخر أيضًا، بأنّ "رجحان الحقيقة والصدق" أحد "الحاجات الفوقيّة".

في هذا المجال، يعتبر "الحاجة إلى المحبّة" – حتى بالمقارنة مع الحاجة إلى الطعام – أكثر الحاجات عموميّةً وأساسيّة، ويعتقد أنّه عن طريق معرفة هذه الحاجة يمكن البحث حول "دافع كلّ إنسان"[4]. تشمل هذه الحاجة "أن تُحِب وأن تكون محبوبًا". بعبارةٍ أخرى هذه الحاجة هي ذلك العشق، و"العشق ليس بمعنى الميل الجنسيّ"؛ لأنّ العشق حاجةٌ نفسيّة وغير فيسيولوجيّة[5].

إنّ وجود هذا المستوى من العشق والمحبّة في الأفراد المحقِّقين لذواتهم، إنّما هو دليلٌ على "التحفيز الذاتيّ" الفطريّ لديهم. وبلغةٍ فلسفيّة، "هذا جانبٌ من الوجود والصيرورة"، ويمكن تسمية ذلك أيضًا بـ

(1) Maslow: Motivation and Personality, p 39, 68.

(2) Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 43, 51.

(3) ماسلو، آبراهام اتش: الأديان، القيم وتجارب الذروة، ص 34.

(4) Maslow: Motivation and Personality, p 21.

(5) Ibid, p 54.

"عشق وجود الآخرين"[1]. ولا يميل الأفراد المحققين لذواتهم بشكلٍ عام لينشغلوا بـ "الأمور الجنسيّة" لأجل "ذاتها"؛ لأنّ وجود العشق والتعلّق مهمٌ بالنسبة لهم. بعبارةٍ أخرى، يتواجد "العشق الشهوانيّ والإلهيّ" في الأفراد العاديّين بشكلٍ متناقض؛ ولكن "في أفضل الأفراد يتّحدان معًا". ويقدّم ماسلو، في موضع آخر، "الحاجة إلى الاجتماع" كأحد الحاجات النفسيّة والأساسيّة للإنسان، وهذا يشمل الحاجة إلى "الانتماء، التواصل، والحياة الاجتماعية"[2].

2-5. الاختيار: أمرٌ طبيعيّ (غريزيّ أو شبه غريزيّ)

يعتبر ماسلو الحياة الإنسانيّة سلسلةً من خيارات الإنسان المستمرّة، ويقدّم اختيار الفرد كعاملٍ أساس في ذلك[3]. وهو يرى أنّه لا يمكن تصوّر الفرد "محدّدًا تمامًا"؛ لأنّ الفرد بمقدار ما تكون "نفسُه عاملًا لتحديد نفسِه"، سوف يُعتبر فردًا واقعيًّا، ولن يتقيّد ويُحدّ "بواسطة القوى الخارجيّة وظروف البيئة فقط"[4]. في هذه النظرة يقع الإنسان ضمن الأطر والقوالب البيولوجيّة الثابتة (مثل كونه رجلًا أو امرأة)، وبالتالي فإنّ "نفسه"، هي التي تبني "نفسَه" و"تُصمّم نفسَه"[5]، فهو يفسّر الظروف الجيدة بـ "الظروف الجيدة من أجل الاختيار الحرّ بواسطة العضوية حقًا"؛ بمعنى أنّ "الطبيعة الداخلية والذاتية للعضوية تُظهر نفسها وفقًا لذوقها" وتقول لنا ماذا تريد وما هي الأشياء التي تمنع تحوّلها إلى ذاتٍ واقعية[6].

ويعتبر ماسلو أنّ الأفراد المحققين لذاتهم لديهم "اختيارٌ" أكثر مقارنةً مع الأفراد العاديين، وقليلًا ما "يخضعون للجبر". ومن خلال هاتين الكلمتين،

(1) Ibid, p 198, 199.
(2) Ibid, p 178, 190, 335.
(3) Maslow: Toward a Psychology of Being, p 192, 193.
(4) Ibid, p 193.
(5) Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 337
(6) Maslow: Toward a Psychology of Being, p 118, 119.

يأخذ بعين الإعتبار "الوقائع التجربية" ولا يلحظ "الجنبة العملية" لذلك يعتبرهما عبارة عن مفهومين "متغيرين" وذي مراتب[1]. على هذا الأساس، الاختيار الحرّ، يؤثّر فقط في "الأفراد الأصحاء والذين لا تشوبهم شائبة" وتُجرى بشكلٍ صحيح و"يكون اختيار الأفراد المريضين والعصابيين خطأً". على هذا الأساس، يمكننا التحدّث عن "الاختيار الحرّ في البشر" عندما نتحدث عن "بالغين أصحاء، أو أطفال" لا يشوبهم الانحراف والاضطراب[2].

بنظرته الذوقية والفلسفيّة، يعتقد ماسلو أنّه في مستوى ما فوق الحافزية وبالنسبة لإنسان صحّي سوف يحصل "نوعٌ من التسامي الإسبينوزائيّ"، وذلك التسامي والارتقاء مطروحٌ في مقولَتي "الإرادة الحرّة مقابل الجبريّة"؛ بمعنى أنّ الفرد "يختار ويريد مصيره" بمحبةٍ، ويعتقد أنّه من أجل الاختيار في الحياة تجب الاستفادة من "التسامح" و"عدم التدخّل". ومن أجل اختيار "العمل الصحيح"، لا بدّ من العمل على الشكل التالي: "الاستماع إلى الطبيعة ودعوات العالم، الحساسية تجاه الضروريّات ومقترحاتها، اختيار الصمت حتى يسمعها؛ متقبّل وغير متدخّل وغير متوقّع ومتسامح"[3].

بناءً على ما تقدّم، ينخرط ماسلو في فهم آخر عن الحرّيّة وفي سياق الفهم الاول، في معنًى أكثر عمقًا عن حرّيّة الإنسان واختياره، ويعتبر المُراد من "الكينونة بإرادة الذات" أي تبعيّة طبيعة الذات. فبرأيه، "الحرّيّة الواقعيّة"، "بناءً على المبدأ الاسبينوزائيّ"، عبارة عن "قبول وحبّ ما لا مفرّ منه"؛ بمعنى أنّ تكون "طبيعة الواقع" هي المرشدة للإنسان.[4]

وفي معرض انتقاده لنظريّات الآخرين، يعتقد أنّ علماء النفس الوضعيّين

(1) Maslow: Motivation and Personality, p 161, 162.
(2) Ibid, p 278.
(3) Maslow: Toward a Psychology of Being, p 119.
(4) Ibid, p 119.

لم يأخذوا بعين الاعتبار في نظامهم الفكريّ مكانةً لـ "المقاصد، الأهداف، الأماني، الرغبات والآمال" و"الإرادة والعزم"[1]. وكذلك اعتبر أنّ نوعًا من "الحتميّة الثقافيّة العامّة" هو جزءٌ من الطقوس الرسميّة والتقليديّة للكثيرين من "علماء الاجتماع والانتروبولوجيّين"، ويرى أنّ هذه الطقوس قد انخرطت في إنكار ورفض "الدوافع الداخليّة العليا"، وهذا الإنكار قرّبهم من تجاهل "طبيعة الإنسان"[2].

3. أوجه الاختلاف والاشتراك في المبادىء الإنسانيّة وتأثيرها على العلوم الإنسانيّة

3-1. جذور ميول الإنسان وحاجاته: أمرٌ روحيّ وإلهيّ أم طبيعيّ وإنسانيّ

بناءً على ما تقدّم، يتّفق كلٌّ من آية الله مصباح وماسلو على أمرين؛ الأوّل أنّ الميل إلى النموّ والكمال والتكامل الإنسانيّ، هو ميلٌ في داخل الفرد والمجتمع مسهّلٌ أو مانعٌ لذلك الميل، وليس مبدأً أو منشأً له؛ والثاني أنّ اللّذة والمنفعة الشخصيّة هي منشأ بحث الإنسان عن الكمال. ويمكن أن يكون لهذه الرؤى المشتركة تأثيراتٍ على العلوم؛ مثل إمكانيّة الاستفادة من القدرة الداخليّة للإنسان في العلوم الإنسانيّة المعياريّة، وليس ضروريًا أن نوجِد الميل نحو النموّ لديه؛ بل يمكن من خلال تربية الميل إلى النموّ حلّ الكثير من القضايا الاجتماعيّة، وتجنّب وقوع بعض المعضلات الاجتماعيّة، على هذا الأساس، في علم النفس الوصفيّ والمعياريّ وكذلك العلوم التربويّة، لن يتمّ تقويم دور المجتمع بصفته دورًا أصيلًا في وصف ظروف الإنسان. وبتعبيرٍ فلسفيّ، يؤدّي المجتمع دور العلّة الإعداديّة، كذلك فإنّ من الواضح أنّ المعرفة الأكثر والأعمق عن اللّذّات والمنافع الفرديّة تفتح الطريق أمام وصفٍ وشرحٍ أكمل للعلل والعوامل المؤثّرة على

(1) ماسلو، 1387، ص56.

(2) Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 310.

السلوكات البشريّة الفرديّة والاجتماعيّة، وتساعد الدراسة في هذا المجال العلوم الإنسانيّة الوصفيّة على معرفة الظواهر الإنسانيّة، وكذلك تساعد في العلوم الإنسانيّة المعيارية، على تحديدٍ أفضل للقواعد المعياريّة من أجل حلّ المشكلات الاجتماعية.

وفيما يلي وجهات النظر الخاصّة لآية الله مصباح في هذا الصدد:

1. الميل إلى الكمال هو ميلٌ روحيّ، وبمقتضى العقل والفطرة فإنّه هبةٌ من الله للبشر.
2. إنّ جميع السلوكات تابعةٌ للميل إلى الذات (حبّ الذات) ويبعث حبّ الذات على الحركة الإراديّة من أجل الراحة واللّذة؛ فالإنسان يسعى وراء أيّ كمالٍ ممكنٍ من أجل حفظ وجوده.
3. في نهاية المطاف، للكمال المطلوب من أجل الإنسان ثلاثة مستويات: مادّيّة، اجتماعيّة وإلهيّة، وهي بطول بعضها[1].

ثمّة لوازم للنكات الثلاث أعلاه في العلوم الإنسانيّة الوصفيّة وفي تفسير الظواهر الإنسانيّة، منها:

1. ضرورة الاستفادة من الأدوات غير المادّيّة من أجل إدراك الميل الروحيّ للإنسان نحو الكمال، ومن أجل معرفة الإنسان بشكلٍ أفضل والظواهر المنسوبة إليه.
2. ضرورة الانتباه إلى النظرة الإلهيّة إلى الإنسان وكونه مخلوقًا والاستفادة من مصادر المعرفة المتماشية مع هذه النظرة (المصادر الدينيّة والوحيانيّة).

(1) انظر: اليزدي: نحو بناء الذات، م.س، ص45 و161؛ انظر أيضًا : اليزدي: تعليم العقائد، م.س، ص163؛ انظر أيضًا: اليزدي: الأخلاق في القرآن، م.س، ج1، ص106-107.

3. ضرورة الالتفات إلى حبّ الذات في تحليل تفسيرات الظواهر الإنسانيّة.

ولهذه النكات أيضًا نتائج في العلوم الإنسانيّة المعياريّة، منها:

1. التوصيات المعياريّة غير مقتصرة على الأفراد الأصحاء جسديًا فقط، بل إنّ أيّ فردٍ يتمتّع بقوى روحيّة إنسانيّة، هو مستهدفٌ من هذه التوصيات ومخاطب بها.

2. يجب في التوصيات والبرامج الالتفات والتنبّه إلى الجنبة الإلهيّة في الإنسان وكونه مخلوقًا والاستفادة من المصادر اللازمة في هذا المجال.

3. كلّ كمالٍ ممكنٍ يسوق إلى حفظ وجود الإنسان ولذّاته الحقيقيّة أكثر وأعمق يجب أن يوصى بدراسته، مع الانتباه إلى التطابق مع أحد مستويات النكات المنشودة الثلاث الآنفة الذكر، يجب جعل الطلب الإلهيّ هو الأولويّة الأولى.

أمّا بالنسبة لآراء ماسلو في هذا الصدد، فهي على الشكل التالي:

1. التفسير المادّيّ لميل الإنسان إلى النمو والتكامل.

2. ترجيح تفسير جذور البحث عن الكمال من خلال التفسير الداروينيّ؛ (إذ وفقًا لنظريّة تكامل الأنواع، يعتبر الطبيعة هي أصل وجذر ميول الإنسان) على التفسير الماركسيّ – الهيغليّ (الذي يرى أنّ أصل الميول مادّيّ، حيوانيّ واقتصاديّ).

3. إجابة الطبيعة على أسئلة تكامل البشر وتطوّرهم.

4. ليست اللّذة هي منشأ البحث عن الكمال فقط، بل يمكن التكامل من دون الأخذ بعين الاعتبار الفائدة والمصلحة[1].

(1) Maslow: Toward a Psychology of Being, p 155, 160, 192, 193, and, Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 10, 316. and Maslow: Motivation and Personality, p 102.

وينتج عن هذه الآراء ووجهات النظر آثار في العلوم الإنسانيّة الوصفيّة منها:

1- الأداة المادّيّة من أجل وصف ميول الإنسان كافية، ودراسة الأبعاد ما فوق الطبيعيّة (غير المادّيّة) للإنسان أمرٌ بلا طائل.

2- من خلال قبول أصل صراع الأنواع ونظريّة التطوّر لداورين، لا يمكن اعتبار الإنسان كمخلوقٍ في تفسير الظواهر الإنسانيّة ولا يمكن تقديم تفسيرٍ إلهيّ عنه.

3- تُلاحَظ الطبيعة بمنزلة مصدر معرفة البشر في توضيح الظواهر الإنسانيّة.

4- فضلًا عن الميل إلى الذات، وراحة الذات ولذّتها، للميل جذرٌ آخر أيضًا من أجل توضيح الظواهر الإنسانيّة تجب ملاحظته.

2-3. لا نهائيّة الميل أو الحاجة الإنسانيّة

يشترك كِلَا المنظِّرَين في هذا المجال في بعض الموارد، وهي عبارة عن: احتياج الإنسان، دوام واستمراريّة هذه الصفة الوجوديّة في مسارٍ أبديّ، عدم ارتضاء الإنسان وشبَعِه من العطايا المؤقّتة، مناشدة البشر للوجود المطلق والخلود المطلق. ويستتبع هذه الآراء المشتركة مستلزماتٍ في العلوم الإنسانيّة الوصفيّة، ومنها:

1. تعالج هذه الآراء صفة مشتركة لجميع أفراد البشر وتقبل إمكانيّة تفسير سلوك الإنسان على أساس القواعد المشتركة (في مقابل النظريّات التي تعتبر أنشطة كلّ فردٍ فريدة ومنحصرة به).

2. تأخذ بعين الاعتبار مسار احتياج البشر الأبديّ في التفسيرات، وتفترض سمةً دائمة من أجل احتياج الإنسان.

3. في التفسيرات يجب الالتفات إلى عدم الإرضاء والإشباع في الظواهر الإنسانيّة والتي تؤثّر جدًّا في وسعة أفق وصف الإنسان.

4. من الضروريّ اعتبار خاصّيّة كون الكمال المطلوب من الإنسان أبديًّا ومطلقًا في وصف الظواهر الإنسانيّة، وهذا الأمر يشكلّ من الناحية المنطقيّة الأرضيّة لتقبّل بعض مبادىء المعرفة الدينيّة والإلهيّة للعلوم الإنسانيّة (مثل مبدأ الدين ومصادر الوحي ومعرفة الله)؛ ولكن رغم هذا السياق المناسب، يقف ماسلو علنًا بوجه الدين والأمور الماورائيّة.

وكذلك تستلزم الآراء المشتركة الآنفة الذكر في العلوم الإنسانيّة المعيارية توصيات وإرشـادات في سبيل إشباع وإرضـاء طلب الأبديّة والخلود والأخذ بعين الاعتبار القيم المطلقة والشاملة (في مقابل النسبيّة القيميّة العامّة)[1].

ولآية الله مصباح إجاباتٍ محدّدة في هذا الصدد ، منها:

1. يختلف الإنسان في أبديّة طلبه وفي الجذور العقلانيّة لذلك عن الحيوان.
2. هذه السمة، هي سِمة روحيّة وتتطلّب مطلوبًا أبديًّا وسياقًا خالدًا من أجل إرضائها[2].
3. تتطلّب هذه النظرة وصفًا فوق حيوانيّ لاحتياج الإنسان في العلوم الإنسانيّة، ويستتبع ذلك ضرورة ملاحظة الجذور العقلانيّة لمسار الحاجة المستمرّ في دراسة الظواهر الإنسانيّة. تَبعًا لهذه النظرة، من الضروريّ في العلوم الإنسانيّة المعياريّة القيام بدراساتٍ وفقًا لهذه الحاجة البشريّة العقلانيّة والصحيحة، ووضع السياسات بما يتلاءم مع السياقات اللازمة من أجل إشباع هذا الميل، واتّخاذ قواعد تحفيزيّة وعقابيّة.

(1) مصباح، علي: [كتابٌ دراسي] مبادىء العلوم الإنسانيّة(درسنامه مبانى علوم انسانى)، الطبعة الأولى، قم، جزوة معدّة لتدريس فلسفة العلوم الإنسانيّة والاجتماعية في مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية، 1392، ص: 62، 63.

(2) انظر: اليزدي: نحو بناء الذات، م.س، ص45 و203-205؛ انظر أيضًا، اليزدي: تعليم العقائد، م.س، ص46؛ انظر أيضًا: سجاديات السلوك، م.س، ص294-295.

ويعتبر آبراهام ماسلو أنّ هذا الميل الإنسانيّ شبيهٌ بالميل لدى الحيوانات، وهو ميلٌ تكامليّ ذو جذورٍ مادّيّة، طبيعيّة وحيوانيّة، ويُعدّ السياق المناسب لهذا الميل هو الحياة المادّيّة للبشر فقط[1]. وقد تمّ تبنّي هذه النظرة بسبب الضعف في المبادىء الوجوديّة، وجعلت العلوم الإنسانيّة الوصفيّة منحصرة في تفسير وتوضيح العوامل المادّيّة والتجريبيّة للظواهر الإنسانيّة، كذلك فإنّها تقود العلوم الإنسانيّة المعياريّة في توصياتها لإشباع هذه الحاجة البشريّة تجاه الوجودات المطلقة[2] وغير الخالدة. في الواقع إنّ العلوم الإنسانيّة لا تساعد في الوصف والتوصية على تلبية هذه الحاجة البشرية بشكلٍ كامل.

3-3. أقسام الحاجات ومكانة الحاجات العليا

تتّفق وجهة نظر كلٍّ من آية الله مصباح وماسلو في هذا الصدد، وذلك في أنّ حاجات البشر شاملة لتسلسلٍ هرميّ من الحاجات المادّيّة والحاجات المعنويّة، بحيث إنّ المجموعة الأخيرة أفضل وأكثر قيمةً من المجموعة الأولى، وهي أقرب من إنسانيّة الإنسان؛ على هذا الأساس، العلوم الإنسانيّة وخاصّةً الفرع المعياريّ منها، مكلّفٌ بإعداد التوصيات والظروف اللازمة من أجل تحقّق الحاجات المعنويّة والعثور على المكانة الواقعيّة لها بين سائر احتياجات الإنسان الاخرى.

ويعتقد آية الله مصباح فيما يخصّ هذا الموضوع بالأمور التالية:

1. الحاجة في حدّ ذاتها ليست عاملًا لتكوّن الظواهر الإنسانيّة؛ بل إنّ الشعور بالحاجة هو عامل هذا التكوّن والظهور.

---

(1) Maslow: Motivation and Personality, p 24, and, Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 232.

(2) استخدم المؤلّف مصطلحات فلسفيّة منطلقًا من خلفيّته الفلسفيّة؛ فالوجودات يعني أيّ أمرٍ له وجود، والمطلقة بمعنى أنّها غير مقيّدة وغير مشروطة بشرطٍ، ولكن بما أنّ هذه الأمور هي من وجهة نظر ماسلو الدنيويّة فهي غير خالدة. – المترجم-

2. تنتمي الحاجات المعنويّة إلى الروح، وبسبب ارتباط اشباعها بالهدف النهائيّ للبشر؛ فإنّها أكثر أصالة وقيمة، ومن أجل تفتّحها وتحقّقها – وليس من أجل أصل إيجادها في البشر- نحتاج إلى تأمين وتلبيةٍ نسبيّة للحاجات الجسميّة.

3. الحاجة إلى المناجاة والحاجة إلى الهداية، من جُملة الحاجات الدينيّة التي تتموضع في سياق الحاجة إلى القرب من الله سبحانه وتعالى، وتُعدّ من الحاجات غير المادّيّة (المعنويّة)[1].

ومن نتائج هذه النظريّة في العلوم الإنسانيّة ما يلي:

1. بناءً على ما تقدّم، الشعور بالحاجة عاملٌ مهمٌّ في نشوء الظواهر الإنسانيّة، وتؤدّي دورًا مهمًّا جدًّا في التفسير الصحيح لهذه الظواهر في العلوم الإنسانيّة الوصفيّة.

2. ينبغي عدم الاستفادة من الأدوات التجريبيّة في وصف الحاجات المعنويّة، ويجب التطرّق إلى ذلك من خلال نظرةٍ أصيلة وقيّمة. وفي النتيجة، لا تُتصور المناجاة والدعاء في سياق الوصول إلى الهدف النهائيّ والحاجة النهائيّة للإنسان أمرًا خرافيًّا وغير واقعيّ.

3. في العلوم الإنسانيّة المعياريّة تكون الحاجات الدينيّة، وعلى رأسها الحاجة إلى القرب الإلهيّ، هي معايير قيمة جميع المعايير والتوصيات أو عدم قيمتها، ويتمّ وضع القوانين لجهة تلبية هذه الحاجة.

4. ومن جهةٍ أخرى تُبذل الجهود في مختلف العلوم الإنسانيّة المعياريّة في التخطيط؛ لئلّا ينشأ الشعور ببعض الاحتياجات الأقلّ قيمة بين أفراد المجتمع.

(1) انظر اليزدي، فلسفة الأخلاق في القرآن، م.س، ج2، ص114؛ انظر أيضًا، النظرية الحقوقية في الإسلام، م.س، ص215؛ انظر: متطلبات الإدارة الإسلامية، م.س، ص98-99؛ انظر أيضًا: اليزدي سجاديات السلوك، ج2، ص169؛ ج1، ص28.

5. يُلحظ عدم مادّيّة أدوات البحث في العلوم الإنسانيّة الوصفيّة وخلق المحفّزات والجوائز الروحيّة بحسب الحاجة في توصيات العلوم الإنسانيّة المعياريّة.

في المقابل، يعتقد آبراهام ماسلو أيضًا في هذا الصدد بإشباع الحاجات المادّيّة من أجل إيجاد الحاجات المعنويّة، ويتصوّر الحاجات الدينيّة حاجاتٍ، بصرف النظر عن كونها إلهيّة وغير إلهيّة، تهدف إلى إرضاء الوَلَه، ويعتبر أنّ جميع حاجات الإنسان طبيعيّة ومادّيّة تمامًا، وقابلة للاختبار عن طريق التجربة. ومن وجهة نظره، فإنّ الحاجات المعنويّة أكثر قيمةٍ لقربها من طبيعة الإنسان، ويجب تأمين جميع الحاجات وإرضاؤها بشكلٍ كامل من أجل الوصول إلى تفتّح الذات وتحقيقها (الهدف النهائيّ)[1]. ونتائج هذه النظريّة في العلوم الإنسانيّة على الشكل التالي:

1. في مرحلة الوصف، سوف يتمّ قياس الظواهر الفردية والاجتماعية للإنسان ووصفها تمامًا بواسطة الأدوات المادّيّة.

2. في مرحلة تقديم التوصيات والاقتراحات، توصي هذه النظريّة بإيجاد جميع الظروف الفردية والاجتماعية من أجل الإشباع الكامل لجميع حاجات البشر، وفي العلوم الإنسانيّة المعيارية يتمّ السعي من خلال التخطيط إيقاظ الحاجات التي يملكها البشر ولم تصل بعد إلى مرحلة الشعور بها – صرف النظر عن مستوى قيمتها وكونها مادّيّة أم غير مادّيّة – وإحيائها وبذل الجهد من أجل إرضائها وإشباعها.

3-4. ميل الإنسان الخاصّ وموارد رغباته

يعتبر كلٌّ منهما أنّ الميل إلى النموّ والرغبة المتسامية والسعي خلف السعادة هي سماتٌ خاصّة للوجود الإنسانيّ، وهي تشمل جميع

(1) Maslow: Motivation and Personality, p 43, 46, 47, 272, 274, 276, 277.

الميول الداخليّة للإنسان، وتشمل الميل إلى الحقيقة، القدرة والمحبّة. ويبرز أثر هذه النظرة في العلوم الإنسانيّة الوصفيّة في تفسير ظواهر إنسانيّة محدّدة، في أنّه عند تفسير هذه الظواهر الإنسانيّة وضمن دراسة الميل إلى النموّ والتسامي البشريّ سوف يتطرّق إلى علاقة هذا الميل وتلك الظواهر بشكلٍ محوريّ، كذلك الأمر بالنسبة إلى الميول الثلاث نحو الحقيقة، القدرة والمحبّة، تعتقد بأنّ أمامها اتجاهان، أحدهما أصيلٌ ونحو النموّ والزيادة، والآخر غير أصيلٍ ونحو النقصان، وتقدّم أوصافًا أكثر اكتمالًا للشؤون الإنسانيّة بالاستفادة منها – أن تكون نحو الهدف أو لا تكون -. وفي الشقّ المعياريّ من العلوم الإنسانيّة تقدّم توصياتٍ أكثر عمقًا من باقي النظريّات.

ووجهات النظر الخاصّة بآية الله مصباح بهذا الصدد على النحو التالي: إنّ الميل الأصيل للإنسان والذي له جذورٌ غير مادّيّة، هي السمة الأسمى لفطرته، ويشمل هذا الميل ثلاث فئات من الميول، وهي: الميل إلى الحقيقة اللامحدودة ، والميل إلى القوّة اللانهائيّة، والميل إلى المحبّة اللانهائيّة[1]. ونتيجة هذا الكلام هو أنّه بواسطة التوافق والتماشي مع هذه الميول الأصيلة للإنسان يمكن للعلوم الإنسانيّة المعياريّة، وضمن توجيه توصياتها واستنباط المعايير القيمية، تقريب أفراد المجتمع البشريّ من الحقيقة وهدفهم الوجوديّ. ويمكن للعلوم الإنسانيّة الوصفية أيضًا من خلال دراسة الأبعاد غير المادّيّة لميول الإنسان مساعدة الإنسان في هذا التوجيه، ولا تحصر عند تفسيرها للظواهر الإنسانيّة ميولَ الإنسان المؤثّرة بالميول المادّيّة.

ويعتبر آبراهام ماسلو أيضًا أنّ الميل المتنامي والمتسامي للإنسان (الميل إلى تحقيق الذات)، والذي هو ميلٌ طبيعيٌ ومادّيّ، سمةٌ بارزة

(1) انظر: اليزدي: معرفة النفس لأجل بناء الذات، م.س ص36-37 و161-170 و332-335.

للإنسان، ويفسّر جميع الأميال الحيوانيّة وغير الحيوانيّة في اتجاهٍ واحد، وفي هذه العمليّة من تحقيق الذات والنموّ. وكذلك يقدّم الميول غير الفيسيولوجيّة على وجه الخصوص مصداقًا للميل المتسامي للإنسان[1]. يتجلّى تأثير هذا الكلام في العلوم الإنسانيّة الوصفيّة، في البحث في الشؤون الإنسانيّة بأدواتٍ مادّيّة صرف، وفي العلوم الإنسانيّة المعياريّة يتجلّى بتقديم مختلف العلوم الإنسانيّة توصياتٍ في اتجاه إشباع الميول السامية للإنسان في حياة البشر المادّيّة.

3-5. الإنسان: مختارٌ أم مجبر

يتفق العالِمان على أنّ الحياة هي سلسلة من الخيارات، ويعتقدان بوجود درجاتٍ للاختيار، ويعترفان بتأثير الظروف إلى جانب اختيار الإنسان – قبل الاختيار، وأثناءه وبعده-؛ ولكنّهما يرفضان الجبريّة. وتوجب سيطرة هذه النظرة في العلوم الإنسانيّة تجنّب التفسير الجبريّ للظواهر الإنسانيّة وعدّ اختيار الإنسان بمنزلة أهمّ عاملٍ، إلى جانب فاعليّة الظروف؛ ولا شكّ أنّه من الممكن تأمين زيادة أو نقصان حصّة كلٍّ من الاختيار والظروف الأخرى بالنسبة لكلّ ظاهرة. وفي العلوم الإنسانيّة المعياريّة، لا يفترضان الإنسان مقهورًا وبلا اختيار، وسوف تكون آثار مراعاة الإلزامات والمتطلّبات وعدم مراعاة ذلك منعكسة عليه، ويجب اعتباره مسؤولًا عن الظواهر الصادرة عنه. كذلك عن طريق هذا الأصل يتمّ إثبات أحد الأصول الموضوعة لعلم الأخلاق (من العلوم الإنسانيّة المعياريّة)، وهو امتلاك الإنسان للإرادة والاختيار[2].

(1) Maslow: Motivation and Personality, p 37, 104, 273, 274, 276, 277.

(2) انظر: اليزدي: تعليم الفلسفة (آموزش فلسفه)، طهران، مؤسسة التبليغات الإسلاميّة، 1378، ج1، ص118.

ويقدّم آية الله مصباح وجهات نظرٍ خاصّة بشأن هذا السؤال المهم، وذلك كالتالي:

1. توجِب الظروف تقييد الاختيار.
2. يتمتّع كلّ إنسانٍ – حتى المكره والمضطر- بحدٍّ أدنى من نصاب الاختيار.
3. يعتبر الفعل الصادر عن الإنسان اختياريًّا عندما يكون ميلًا مترافقًا مع النيّة ويدعمه منشأ عقلانيّ.
4. إنّ قوة اختيار الإنسان كرامةٌ تكوينيّة من قِبل الخالق تعالى، ويوفّر له الكرامة الاكتسابيّة من خلال تحمّله للمسؤوليّة، العبوديّة ولزوم المُساءلة أمام الله تعالى[1].

ويمكن أن يكون لهذه الآراء في العلوم الإنسانيّة الوصفية الآثار التالية:

1. في ظلّ أصعب الظروف الاجتماعية والفرديّة للظواهر الإنسانيّة، سوف يتمّ الأخذ بعين الاعتبار الدور المتممّ لاختيار الإنسان أيضًا، وذلك بصفته الجزء الأخير من العلّة التّامة.
2. الظواهر الاختياريّة الفرديّة والاجتماعيّة المنتسبة إلى إرادة الفرد أو أفرادٍ من الناس، سوف تعتبر إنسانيّة إذا ما كانت مترافقة مع نيّةٍ عقلانيّة.

وكذلك تؤثّر وجهات نظره أعلاه في العلوم الإنسانيّة المعياريّة، وهذه بعض مواردها:

1. سوف تكون توجّهات القواعد المعياريّة والتوصيات نحو اكتساب الكرامة الاكتسابيّة.

(1) انظر: اليزدي، تعليم الفلسفة، م.س، ج2، ص96-97؛ انظر أيضًا: اليزدي، معارف القرآن، ج1-3، ص378؛ مجموعة من المؤلفين، فلسفة التربية والتعليم الإسلامي، م.س، ص190.

2. سوف يتمّ تحقيق التوجّهات المذكورة عن طريق سَوق الأفراد والمجتمعات نحو العبودية وتحمّل المسؤوليّة أمام الله تعالى.

3. من خلال تحديد الطرف المُطالِب بالمسؤوليّة وضرورة استجابة الإنسان له، سوف يتمّ الابتعاد عن النسبيّة القيميّة.

وأمّا إجابة آبراهام ماسلو الخاصة بهذا الشأن:

1. يتمتّع الأشخاص الأصحّاء والمحقّقون لذواتهم بنطاقٍ أوسع من الخيارات مقارنةً مع غيرهم من الأفراد؛ بسبب عدم وجود عوائق، والظروف لها تأثير على اختيار الأشخاص غير الأصحّاء.

2. يتطابق اختيار الإنسان وإرادته مع ميله الطبيعيّ والمادّيّ، والحرّيّة الحقيقيّة هي ذلك التطابق وتقبّل المصير الطبيعيّ[1].

ويوجب هذا الكلام طرح الأمور التالية في العلوم الإنسانيّة الوصفيّة:

1. ضرورة وجود نمطين من التحليل ووصف الظواهر الإنسانيّة فيما يتعلّق بصدورها من قِبل أفرادٍ ذوي خيارٍ عالٍ أو ذوي خيارٍ منخفض، وتبعًا لذلك اختلافهم في تقويمها.

2. البحث حول الميل الطبيعيّ والجسمانيّ للإنسان من أجل فهم معنى حرّيّة الإنسان الحقيقيّة.

3. اعتبار الظواهر التي تصدر عن الميل الطبيعيّ والغريزيّ للبشر إنسانيّة تمامًا، ووصفها على أنّها ظواهر إنسانيّة، والتي سوف تؤدّي إلى توسعة معنى الظواهر الإنسانيّة وموضوع العلوم الإنسانيّة. وفي العلوم المعياريّة أيضًا ومن خلال قبول طبيعيّة وغريزيّة فعل الإنسان، يتمّ إعداد الأرضيّة لنسبيّة القيم والتوصيات والإرشادات.

(1) Maslow: Motivation and Personality, p 161, 162, 278. and: Maslow: The Farther Reaches of Human Nature, p 119.

خاتمة:

في مجال المبادىء الإنسانيّة، يوجد بين آية الله مصباح وآبراهام ماسلو اختلافٌ في وجهات النظر حول الميول والاتجاهات الفطريّة للإنسان – أو بتعبير ماسلو الميول الطبيعيّة-. الموضوع الأوّل محلّ الاختلاف هو حول جذور ميول الإنسان، نموّه وبحثه عن الكمال: يعتبر آية الله مصباح أنّ حبّ الذات وحبّ اللّذة والراحة هي جذور الميول الآنفة الذكر، وأنّها أمرٌ روحيٌّ، عقليٌّ وإلهيّ؛ ولكن ماسلو يعتقد أنّ اللّذة في حدّ ذاتها هي أحد مناشىء الميل إلى النموّ والتكامل، وهي ناشئة من الطبيعة المادّيّة للإنسان.

الموضوع الثاني الاختلاف حول لانهائيّة بحث الإنسان عن الكمال والاحتياج، وذلك ناشىءٌ من أنّ آية الله مصباح يعتبر ذلك ميلًا روحيًّا، عقلانيًّا وإنسانيًّا بالنسبة للمطلوب اللانهائيّ في سياق حياةٍ خالدة؛ في حين أنّ ماسلو يتصوّر ذلك ميلًا مادّيًّا، طبيعيًّا وحيوانيًّا (حتى لو كان تكامليًّا)، وأنّه يتعلّق باللانهاية في سياق الحياة المادّيّة للبشر. الموضوع الثالث متّصلٌ بمكانة الحاجات المعنويّة بين أنواع حاجات البشر؛ إذ يعتبرها آية الله مصباح حاجاتٍ روحيّة وهي أكثر أصالة وقيمة بسبب ارتباطها بالهدف النهائيّ الإلهيّ، ويتمّ تحقيقها من خلال الإرضاء والإشباع النسبيّ للحاجات المادّيّة؛ ولكن ماسلو يعتبرها حاجاتٍ طبيعيّة وقابلة للاختبار بواسطة الأدوات المادّيّة، وأنّها أكثر قيمةً بسببٍ قربها من الهدف النهائيّ الدنيويّ (تحقيق الذات) بصرف النظر عن كونها إلهيّة أم غير إلهيّة، وأنّه يجب إشباع جميع الحاجات المادّيّة والأساسيّة بشكلٍ كامل. الموضوع الرابع، حول ماهية الميل الأسمى للإنسان ومحتواه، إذ يعتقد آية الله مصباح أنّ ذلك ميل ذو جذرٍ غير مادّيّ، ويشمل الميل إلى الحقيقة، القدرة والمحبّة اللانهائيّة؛ في حين أنّ ماسلو يعتقد أنّه ميلٌ ذو جذورٍ مادّيّة ويشمل جميع الميول الفيسيولوجيّة وغير الفيسيولوجيّة (مصداقه الخاص).

بناءً على وجهات نظر آية الله مصباح، يُؤخذ بعين الاعتبار في العلوم الإنسانيّة الوصفية وفي تفسير الظواهر الإنسانيّة جميع الميول وحاجات البشر مع جذورها العقلانيّة وحبّ الذات، ويتمّ الاهتمام بالحاجات ذات الجذور غير المادّيّة (الحاجات المعنويّة أو الأصيلة) أكثر من سائر الحاجات، ولا يُنظر إليها من منظار التجربة والخرافة؛ إذ تعتبر الظواهر الفرديّة والاجتماعيّة إنسانيّة في حال مصاحبتها للنية العقلانيّة، وسوف يُلحظ فيها أيضًا دورٌ متمّمٌ لاختيار الإنسان في أحلك الظروف وأصعبها. وتوجب هذه النظرة في العلوم الإنسانيّة المعياريّة أيضًا توجيهًا للمعايير والتوصيات نحو تحقيق الكرامة الاكتسابيّة. وسيتمّ هذا الأمر عن طريق قيادة الأفراد والمجتمعات نحو العبودية وتقبّل المسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى ويتمّ الابتعاد عن النسبيّة القيميّة. كذلك يُبذل الجهد، بعد الإرضاء النسبيّ للحاجات المادّيّة (في حال الحاجة)، إلى التقليل من الاهتمام بها والالتفات إليها، ويتمّ الاستفادة في هذا السبيل من خلق الدوافع والحوافز الروحيّة. وفي مرحلة التقويم أيضًا تقع الحاجات الدينيّة وعلى رأسها الحاجة إلى القرب من الله، معيارًا لقيمة جميع المعايير والتوصيات أو عدم قيمتها، وسوف تكون الميول الأصيلة مرشدةً للإنسان في تحديد الأطر والتوجّهات.

في المقابل، العلوم الإنسانيّة القائمة على أساس وجهة نظر آبراهام ماسلو، قد قُيّدت في تفسير الظواهر الإنسانيّة بالعوامل المادّيّة والتجريبيّة وتستفيد من طرق وأدوات البحث التجريبيّ. ليس لدى ماسلو نظرة إلهيّة إلى عامل الظواهر الإنسانيّة وكونه مخلوقًا، ويعتبر الطبيعة هي المصدر الوحيد لمعرفة البشر. وقد توسّع في الوصف، فمن جهةٍ يعتقد أنّه فضلًا عن الميل إلى الذات (حبّ الذات)، سوف يسعى خلف ميولٍ جذريّة أخرى (مثل الميل إلى الآخر) من أجل وصف الظواهر البشريّة؛ ومن جهةٍ أخرى يعتبر الظواهر الصادرة عن ميلٍ طبيعيّ وغريزيّ (حيوانيّ) للبشر ميلًا إنسانيًّا، وهكذا يعتبر نطاق الظواهر الإنسانيّة أوسع مما لدى آية الله

مصباح. وفي مرحلة التوصيات والاقتراحات يوصي بخلق تمام الظروف الفرديّة والاجتماعية من أجل الإرضاء الكامل لجميع حاجات البشر. ومن هذا المنظار، يُبذل الجهد عبر التخطيط على المستوى الاجتماعيّ، من أجل إيقاظ حاجات البشر التي لم تصل بعد إلى مرحلة الشعور، ويسعى هذا الفرع من العلوم في توصياته، ومن أجل إشباع الحاجة إلى اللّذّات البشريّة الخالدة (وبسبب القيود المقبولة)، إلى المحافظة على رضى البشر في هذه الحياة المادّيّة وبوجوداتٍ مطلقة غير خالدة[1]؛ ومن خلال قبول طبيعيّة فعل الإنسان وغريزيّته وفرادته، فإنّه يعدّ الأرضيّة من أجل نسبيّة القيم والتوصيات في هذه العلوم. وبناءً على نظرية ماسلو، لم تساعد العلوم الإنسانيّة، في الوصف والتوصية، في الإشباع الكامل لحاجات البشر المطلوبة إلى ما لا نهاية، ولم تجهّز السياق اللازم لذلك.

(1) تمّ توضيح هذه العبارة في الهامش سابقًا - المترجم.